ملخص

يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلة نقدية لظاهرة نفسية، تعد من أبرز الظواهر الشعرية فى شعر (عبد الحميد الديب)، فاتخذ مسمى (الاغتراب فى شعر (عبد الحميد الديب) أنماطه ومظاهره "دراسة تحليلية نقدية")، واقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث ودوافع اختياره وخطته ومنهجي النقدي فيه، وتمهيد: تضمن الحديث عن مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا، والتعريف بالشاعر (عبد الحميد الديب)، ثم فصلين: الفصل الأول بعنوان: أنماط الاغتراب ومظاهره فى شعر (عبد الحميد الديب)، تلاه الفصل الثاني بعنوان: إضاءات فنية عن الاغتراب فى شعر (عبد الحميد الديب)، ثم خاتمة وتحدثت فيها عن أهم النتائج، ثم فهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب– الانطواء– الوحدة– العجز– اليأس– الشجن– البؤس– التفسير النفسي– البنية التركيبية– الصورة – الإيقاع.

Abstract:

Seeking to provide an analytical study of a psychological phenomenon that is considered one of the most prominent poetic features in the poetry of Abdul Hamid Al-Deeb, this study is entitled ‘Alienation in the Poetry of Abdul Hamid Al-Deeb, Its Aspects and Features: An Analytical Critical Study’. The structure of this research paper is as follows. An introduction: It discusses the importance of the research, the motives for choosing its topic, its plan, and its critical methodology. A preface: It explores the linguistic and technical concept of alienation and introduces the poet Abdul Hamid Al-Deeb. Then, there are two chapters. The first chapter: Aspects and Features of Alienation in the Poetry of Abdul Hamid Al-Deeb. The second chapter: Artistic Illuminations on Alienation in the Poetry of Abdul Hamid Al-Deeb. The study presents a conclusion that provides the key research findings, an index of sources and references and another index for the topics.

Keywords: Alienation, Introversion, Loneliness, Helplessness, Despair, Melancholy, Misery, Psychological interpretation, Compositional structure, Imagery, Rhythm

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبعد:

لقد كان لظاهرة الاغتراب فى المدونة الشعرية لـ(عبد الحميد الديب) حضور بارز يبوح للمتلقي عن صدق معاناة الشاعر وما انتابه من شقاء فى حياته، مما يجعلها مادة تستحق الوقوف عليها بالتحليل والنقد للكشف عن أنماطها ومظاهرها والبعد النفسي لها فى وجدانه.

دوافع اختيار البحث:

– الوقوف على أنماط ومظاهر الاغتراب فى شعر (عبد الحميد الديب) ودراستها دراسة تحليلة نقدية تكشف للمتلقي عن عناصر الإبداع الفني ودورها فى الإفصاح عن العالم النفسي للشاعر والعوامل المؤثرة فى إبداعه من خلال شعره الحامل لآلامه ومعاناته والمعبر عن تلك الظاهرة النفسية تعبيرًا صادقًا.

– خصوبة النتاج الشعري المعبر عن تلك الظاهرة النفسية، إذ حضرت حضورًا بارزًا بشتى اتجاهاتها النفسية والاجتماعية والمكانية والزمانية في المدونة الشعرية للشاعر.

– شخصية (عبد الحميد الديب) البارزة فى شعره، إذ كان شعره صفحة من حياته اليومية يعبر فيه عن معاناته النفسية داخل المجتمع، وفى كنف المكان، وأضابير الزمان.

خطة البحث:

– مقدمة: وتحدثت فيها عن أهمية البحث، ودوافع اختياره، وخطته، ومنهجي النقدي المتبع فيه.

– تمهيد: وتضمن الحديث عن مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا، والتعريف بالشاعر (عبد الحميد الديب).

– الفصل الأول: أنماط الاغتراب ومظاهره فى شعر (عبد الحميد الديب).

– الفصل الثاني: إضاءات فنية عن الاغتراب فى شعر (عبد الحميد الديب).

– الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج.

– فهرس للمصادر والمراجع.

– فهرس للموضوعات.

منهج البحث: منهج البحث هو المنهج الوصفي القائم على وصف الظاهرة وتحليلها، بالإضافة إلى المنهج النفسي للوقوف على نفسية الشاعر ومشاعره وأبعاد شخصيته.

هذا، وأسأل الله –تعالى– أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يرزقني التوفيق والسداد...

د/عادل السيد طلبه النجار

تمهيد

١- مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحًا:

الاغتراب لغة: ورد لفظ (الاغتراب) في أصل وضعه اللغوي على ألسنة بعض من سدنة الفصحى من واضعي المعاجم العربية، يراد بها البُعد عن الوطن ومراتع الصبا ومفارقة الأهل والأحباب ويُلمح فى ذلك معنى الغُربة الحقيقية الحسية المتمثلة فى الهجرة خارج الأوطان، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "والغُربة: الاغتِرابُ من الوطن...والغُربة: النوى البعيد"(١) ومن الجدير بالذكر أنني قد لاحظت أن المفهوم المعنوي والبعد النفسي للفظ الاغتراب يتوارى خلف بعض العبارات المفصحة عن معنى الاغتراب، وذلك بالإضافة لما أقره السابقون من دلالة على أن فى الغربة معنى الاغتراب، إذ قال ابن منظور: "التغريب: النفي عن البلد وغَرَبَ أي بَعُدَ...والغريب: الغامض من الكلام...وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب"(٢)حيث أفصح عن بعض من معاني الاغتراب الذي يراد بها التمرد والثورة والخروج عما ألفه الناس، وأكد تلك المعاني وأتم مفهوم الاغتراب الذي من صوره الانطواء والانعزال عن الناس، (الزبيدي) فقال: "الغَرْبُ التنحي عن الناس"(٣) وفي ذلك دلالة لما يعانيه المغترب من حالة نفسية، تجعله يتخذ من الانعزال والانطواء سبيلًا له، ولا غرابة في ذلك فالاغتراب النفسي لا ينفصل عن الاغتراب الاجتماعي "وإنما يرتبط به ارتباطا يكاد يكون عضويا، ذلك لأن أغلب المغتربين نفسيا كانوا أيضا مغتربين اجتماعيا، بمعنى أن اغترابهم أي اضطرابهم كان فى جانب كبير منه أثرًا من آثار نبذ المجتمع، أو تجاهله، أو مطاردته لهم ومن ثم كانوا غرباء بين الآخرين، تميزوا بعدم الانتماء"(٤) ونتيجة لذلك شعروا بعدم الصلة بينهم وبين المجتمع فلجأوا إلى العزلة والانطواء والتنحي عن الناس، فانتقلوا إلى اغتراب أعمق بدا في شعورهم بالاغتراب المكاني النابع من إحساسهم بالوحشة تجاه المكان، وكذلك فى شعورهم بالاغتراب المنحدر من شعورهم بسيطرة سلطان الزمان وقوته الفاعلة عليهم وإذلاله إياهم.

الاغتراب فى الاصطلاح: إن مفهوم الاغتراب لم يزل غامضا نظرًا لتباين النتائج المعبرة عن تعريفه كمصطلح، فلقد وردت لفظة "alienation" في معجم مصطلحات الأدب يراد بها"الشعور بالغربة، والوحشة، اللاانتماء، الانخلاع، الانسلاخ الذي يقصد منه شعور المرء بأنه مُبعد عن البيئة التى

---

(١) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت.د/عبد الحميد هنداوي، ٢٧٢/٣، ط دار الكتب العلمية –بيروت– الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

(٢) لسان العرب: ابن منظور،٦٣٩/١ وما بعدها، ط دار صادر –بيروت– الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ –

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، ت/مجموعة من المحققين، ٤٥٧/٣، طدار الهداية –الكويت– (د.ت).

(٤) الاغتراب سيرة مصطلح، د/محمود رجب، ص ٣٦ وما بعدها، ط دار المعارف الطبعة الثالثة عام ١٩٨٨م.

ينتمي إليها، أضف إلى ذلك وصفها بمعنى الاستلاب الذي يراد به شعور الفرد بأنه غريب عن ذاته، نتيجة لظروف خارجة عن إرادته بحيث يصبح عبدا للإنجازات الإنسانية من الاختراعات الآلية والنظم الاجتماعية والأوضاع السياسية التى تثور ضده وتنقلب عليه"[١] وفي هذا دلالة على أن الاغتراب يراد به العجز عن تحقيق الذات والهدف المنشود الذى يطمح إليه الإنسان.

هذا وقد ترجمت تلك اللفظة "alienation" فى المعجم الأدبي إلى "الارتهان الذي يبين أنه يتضمن ثلاث معان: الأول معنى لغوي يراد منه التقيد بأمر تقيدا شديدا لا فكاك عنه، والثاني معنى فكري يراد منه خضوع واستسلام الشخص أمام ظروف خارجية اقتصادية أو دينية أو سياسية بحيث يصبح عبدا للأشياء، والثالث معنى نفسي يراد منه الشعور بالقلق الذي يدفع الإنسان إلى التمرد والثورة نتيجة لشعوره بأن كل ما يتوصل إلى اكتشافه أو اجتيازه معرض للانتزاع منه أو قد يصبح موجها ضده، فيتجاوز الحالة غير الإنسانية والارتهانية التى تسحقه بالثورة والتمرد على تلك القوة الضاغطة السالبة لإرادته وكيانه الإنساني"[٢]، وبذلك فقد انتقل هذا المفهوم إلى أعماق النفس المغتربة وأفصح عما تعانيه من قلق واضطراب وخوف يقودها إلى الضجر والتبرم والتمرد والثورة، ولا غرابة فى ذلك فـ" يبرز الاغتراب فى أوضاع التمرد التى تدفع الفرد إلى البحث عن بديل للقيم التى يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم"[٣]، ويؤكد ذلك (فتح الله خليف) حينما بين أن المشاعر الاغترابية المتأزمة فى وجدان الإنسان الذي يعاني الاغتراب تجعله يلجأ إلى الثورة والتمرد على المجتمع الزائف لا الانعزال والانطواء فحسب حينما قال:"الاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، واغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية وسلبية فقهروا السلطتين جميعا سلطة الحكام وسلطة النفس...فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع فى النفس الشعور بالأمن والأمان محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين بعد أن تفشت بينهم فتنة الشهوات وفتنة الشبهات"[٤] ومن ذلك يتبين أن الاغتراب ظاهرة نفسية تتولد داخل الذات البشرية نتيجة لعدم شعور الإنسان بإنسانيته الحقيقية التى تتلاءم مع ما يطمح إليه من آمال، إذ يصطدم بواقعه المرير الذى يتنافى مع أحلامه، وهنا تبدأ رحلته الاغترابية فينعزل منطويا على ذاته المعذبة، معلنا انسلاخه عن المجتمع تارة أو تمرده وثورته عليه تارة أخرى، ونتيجة لذلك ثمة فرق بين

---

(١) ينظر معجم مصطلحات الأدب (انكليزي–فرنسي–عربي)، مجدي وهبه، ص٩، ط مكتبة لبنان–بيروت–(د.ت).

(٢) ينظر المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص ١٣، ط دار العلم للملايين –بيروت– الطبعة الثانية عام ١٩٨٤م.

(٣) الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا،د/قيس النوري مجلة عالم الفكر، ص١٣وص١٨، مج ١٠، العدد ١ عام ١٩٧٩م.

(٤) الاغتراب فى الإسلام،د/فتح الله خليف، مجلة عالم الفكر، ص٨٨، مج ١٠،العدد ١ عام١٩٧٩م.

الاغتراب والغربة، إذ يتجسد الاغتراب فى الانسلاخ النابع من عدم الانتماء والانعزال النابع من الإخفاق في تحقيق الذات التى يطمح إليها الإنسان الذي يعاني مرارة الاغتراب، كما تتجسد الغربة فى الانتقال الحقيقي والهجرة المكانية من الوطن إلى مكان ما، وحينئذ يشعر الإنسان بالحنين إلى موطنه فتتحقق لديه مشاعر الغربة الحسية التى من الممكن أن تتنامى فتدفع به إلى الشعور بالاغتراب فى بوتقة غربته الحقيقية وذلك عندما يشعر بالنفور من المكان المحيط به والوحشة وعدم الانتماء إليه حال كونه فى عالمه المهجري.

٢- التعريف بـ(عبد الحميد الديب) :

-**مولده ونشأته:** نشأ(عبد الحميد الديب) نشأة ريفية خالصة، إذ ولد "عام ١٨٩٨م بقرية كمشيش وهى قرية متواضعة من قرى المنوفية تقع قريبا من مركز البتانون، ووالده هو السيد الديب جزار القرية فى مواسمها وأعيادها وكانت القرية المصرية إلى عهد قريب قلما تأكل اللحم إلا فى المواسم والأعياد"[١] ونتيجة لارتباط مهنة والده حينئذ بالأعياد والمناسبات نشأ (الديب) فى أسرة فقيرة بائسة، وترعرع بين البؤس والفاقة، فشب منكسر الوجدان، صريع الحرمان، وقد رمق شبح الفقر يجثو أمام عينيه، فترسخت فى وجدانه صورة أسرته البائسة.

-**حياته العلمية:** إن حياة البؤس والفقر التى عانتها أسرة (الديب) لم تحل بينه وبين طلب العلم، لأنه وعلى الرغم من هذا البؤس وتلك الفاقة "كان لأبيه أمنية عزيزة، وهى أن يرى ابنه شيخا مجاورًا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن الكريم لتلاميذه ومريديه"[٢]، ونتيجة لذلك "فقد كان أبوه...حريصا على تعليم ابنه فلما أتم حفظ القرءان وتجويده في سن مبكرة أرسله -على عادة أهل الريف فى ذلك الزمان- إلى المعهد الديني بالاسكندرية حيث نال منه شهادته المتوسطة ثم أرسله أبوه إلى القاهرة عام ١٩٢٠م ليستأنف تعليمه العالي في الأزهر"[٣]ونتيجة لحالة البؤس الشديد والشقاء المرير اللذين عانى منهما (الديب) عدل عن الدراسة في الأزهر"إلى دار العلوم، ليظفر بالمكافأة الشهرية التى تمنح للطلاب حتى تعينه على بعض أمره"[٤] ومن ذلك يتبين أن نيران التمرد على حياته البائسة جعلته يثور عليها رغبة منه فى تغييرها إلى حياة تصل بها إلى حد الكفاف "إلى أن كان ذات مساء ساقته الصدفة إلى بولاق وهناك اختار

---

(١) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، عبد الرحمن عثمان، ص١، ط مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني – القاهرة- (د.ت).

(٢) مشاهير وظرفاء القرن العشرين، أ/هاني الخير، ص ٤٣، طدار الكتاب العربي-بيروت- الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م.

(٣) شعراء الفكاهة المعاصرون، أ/رجب مصطفى، ص ١١٠ وما بعدها ط دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع – دسوق- مصر – الطبعة الثانية عام٢٠٠٩م.

(٤) الشاعر البائس (عبد الحميد الديب)، ص٢٥.

إحدى المقاهي البلدية ليقضي فيها بعض فراغه...وجلس يسترق السمع إلى آخر كان يجلس فى الركن المقابل يلوك فى فمه شطرة من أغنية وهى (والله تستاهل يا قلبي) ظل يرددها عشرات المرات ولا يتمها...ولاحظ الديب ذلك فتقدم منه وقال متطفلا أقترح أن تتمها هكذا: والله تستاهل يا قلبي ليه تميل ما كنت خالي...وكاد الرجل يطير فرحا...وقدَّم نفسه فإذا هو الفنان الخالد سيد درويش" [١]الذي كان فى لقائه بداية انتقاله إلى الحياة الاجتماعية وتركه للحياة العلمية.

-**حياته الاجتماعية:** ظن (الديب) أن في لقائه بالفنان (سيد درويش) الخلاص لما يعانيه فى حياته من بؤس وشقاء، فانغمس في حياة الترف والنعيم تاركا الدراسة في دار العلوم إذ "نسى الديب مدرسة دار العلوم وانتقل إلى قصر فخم مهيب وانغمس في تلك الحياة البراقة الفاتنة ولم تستمر هذه الصحبة طويلا فقد توفى سيد درويش فجأة في سبتمبر ١٩٢٣م...وانقطعت بالديب أسباب الرزق وترك القصر الفخم ليعود مرة أخرى ليالي التسكع في شوارع القاهرة بلا مأوى أو طعام..."[٢] وبذلك فقد زادت معاناته وتضاعف بؤسه وخارت إرادته فـ"أُدى به إلى إدمان المخدرات (الكوكايين)...وهذا المخدر هو العنصر الأساسي الحاسم الذى قضى على الشاعر الديب بالبؤس الأبدي الذى عاش فيه طيلة حياته فقد كان يصرف كل قرش يصل إلى يديه على المخدر" [٣] ليجد نفسه شريدا في دروب القاهرة الأمر الذي ترتب عليه دخوله السجن بتهمة "التشرد والصعلكة والسكر والعربدة وشم الكوكايين...وكان يخالط في السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين، لكنه يرى في السجن لذة بعيدًا عن سخرية المجتمع وقسوته"[٤] وفي خضم تلك الإخفاقات والصدمات المتتالية فى حياته حاول الاتصال بالأحزاب السياسية حينئذ فراح يؤلف القصائد المادحة للحزب وأفكاره ورواده بغرض دفع غائلة العوز لمادي عنه، ومما يؤكد ذلك فشله فى الاستمرار مع تلك الأحزاب، إذ راح يهجوها تارة بعد أن مدحها "فقد كان فى أعماق نفسه مقتنعا أن الأحزاب المصرية تتصارع فى كثير من الأحيان على المصالح لا على المباديء ولم يكن قادرا على أن يخفي مشاعره أو يتحمل دون سخط سخافات الأحزاب والحزبيين فكان يطلق لسانه بالنقد والاعتراض على هذه الأحزاب...مما أفقد رجال الأحزاب ثقتهم فيه واطمئنانهم إليه، فنفضوا أيديهم منه وتخلوا عن تقديم أي معونة له...وعاد عبد الحميد الديب إلى حياة التشرد والصعلكة بعد فترة قصيرة قضاها في رعاية رجال

---

(١) عبد الحميد الديب حياته وشعره، فتحي الرملي، ص١٠ وما بعدها، ط دار التعاون الصحفي -مصر- عام ١٩٤٤م.

(٢) مجلة أدب ونقد، عبد الحميد الديب، اعترافات فيلسوف الصعاليك، أشرف سعد، العدد ٣٦٩، ص٤٣.

(٣) عباقرة ومجانين، رجاء النقاش، ص ٢٨٧ وما بعدها، ط مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع-القاهرة- الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٤) مشاهير وظرفاء القرن العشرين، ص٤٤.

السياسة الحزبية فى مصر..."[١] ليجد نفسه تارة أخرى شريدا وحيدا بائسا في الدروب بلا مأوى، ورغم هذا "كان الإيمان يعمر نفس الديب ويغمر مشاعره ويملك عليه كل وجوده، بل لقد كان يمض في قلبه ومضات قوية حتى في أحلك أيام حياته وأشدها عبوسا وجهامة..."[٢]، وذلك نظرًا لنشأته الريفية النقية الصافية وقلبه الذى زُرع فيه نور القرءان الكريم منذ الصغر، ولم يكن هذا فحسب فلقد استمر (الديب) فى استكمال مراحل إخفاقاته المتتالية، الأمر الذى ترتب عليه إصابته بحالة من الرضا الذي يصل إلى درجة الخضوع والاستسلام واليأس النابع من شعوره النفسي بالعجز في تحقيقه لما كان يطمح إليه من أحلام تراوده كشاعر ظن أن المجتمع سيعترف بشاعريته ويجود عليه بما يكفل له العيش في هناء وسرور، ولم يدر أن تعبيره عن بؤسه ومعاناته جعل الأذواق تستمتع بنظمه المعبر عن حالته البائسة دون أدنى رغبة منها فى تغيير ما عليه من معاناة وشقاء مما جعله قد "وصل إلى حالة من الرضا الخفي بمصيره البائس، فقد أصبح مشهورا بين المنشغلين بالأدب والصحافة فى عصره بهذه الشخصية الخاصة، التى تعيش فى بؤس وتشرد...فتلك هى الصورة التى يرضاها الناس ويستمتعون بها، وذلك هو الدور الذى استسلم له الشاعر وأتقنه حتى أصبح علامة عليه ومصدرا لتفرده بين شعراء عصره وأدبائه"[٣]، وقد ترتب على الشعور النفسي لديه بالرضا الذي يصل إلى حد الخضوع والاستسلام، أن وجدتُ ومضات صوفية في شعره قبيل نهاية حياته في إشارة ضمنية منه على توبته وتركه للحانات التى كان يرتادها وعزوفه عن مخدر (الكوكايين) وتلك عادة الفحول من الشعراء التائبين عن حياة اللهو التى كانت تتجسد بداية حياتهم الفتية.

حياته الزوجية: إن زواج (عبد الحميد الديب) كان دليلا واضحًا على صدق معاناته وشقائه وبؤسه، بل وشؤم حظه فما إن أراد السعادة الزوجية وطمح لها إلا وقد أخفق فيها كعادة إخفاقاته المتتالية، فلقد "أحب الشاعر أرملة شابة على قدر من الجمال وكان مفلسا ولكن أحد أصدقائه الشعراء ساعده بالمال فتجرأ وطلب يدها وقبلت دعوته..."[٤] ونظرًا لشدة بؤسه وفاقته "لم تمض شهور حتى برمت به زوجه إحسان...ورغبت فى الطلاق..."[٥] ليسدل الستار على حلقة من حلقات الإخفاقات المتتالية فى حياة الشاعر البائس!!!

---

(١) انظر عباقرة ومجانين، ص ٢٨٦ وما بعدها.

(٢) الشاعر البائس (عبد الحميد الديب)، ص١٨٧.

(٣) عباقرة ومجانين، ص ٢٨٨.

(٤) مجلة أدب ونقد، عبد الحميد الديب، اعترافات فيلسوف الصعاليك، أشرف سعد، عدد ٣٦٩، ص٤٤.

(٥) الشاعر البائس (عبد الحميد الديب)، ص١٦٥.

وفاته: ظل (الديب) في حالة من البؤس والشقاء متسكعا في دروب القاهرة شريدا بلا مأوى وقد سيطر الاستسلام والعجز على مشاعره حتى "التقى به وزير أديب فى قهوة الفيشاوي فى سهرة من سهرات رمضان ووعده بوظيفة تكفل له حياة هادئة آمنة حتى نهاية العمر وعين بالفعل فى اليوم التالي موظفا فى وزارة الشئون الاجتماعية"[١] ولكن لم يزل شؤم الطالع حليفا لشاعرنا البائس فبعد أيام من تسلمه بوزارة الشئون الاجتماعية "مات (الديب) بعد انفجار فى الشرايين لم يهمله طويلا فتوفى فى مستشفى قصر العيني فى ٣٠ نيسان (أبريل) عام ١٩٤٣م"[٢]، فصمت الشاعر الجريح عن أنينه، وجفت مآقيه عن الدمع راحلًا إلى الرحمن الرحيم.

(١)عبد الحميد الديب حياته وشعره، ص ٣٠.

(٢) مشاهير وظرفاء القرن العشرين، ص٤٩.

الفصل الأول: أنماط الاغتراب ومظاهره فى شعر (عبد الحميد الديب):

المبحث الأول: الاغتراب الاجتماعي:

يُعد هذا النمط الاغترابي من أبرز أنماط الاغتراب التصاقًا بالطبيعة النفسية والحالة الوجدانية لـ(عبد الحميد الديب)؛ وذلك لما عاشه من حياة مأساوية ألقى كل من البؤس، والضياع، والتشرد بظلاله عليها، أضف إلى ذلك ما اعتراه من فشل في التفاعل مع المجتمع، والتواصل مع أفراده، بل والإخفاق في التكيف مع مبادئه وعاداته وتقاليده، والتصادم بين المأمول والواقع المرير، ونتيجة لذلك راح يهيم على وجهه شريدًا بائسًا يعاني الحسرة والألم فى دروب (القاهرة) دون أن تمتد له يد العون من أفراد المجتمع، فراح يتجرع مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي النابع من شعوره "بافتقاد العلاقة ذات المعنى مع الآخرين، والإحساس بالتعاسة بسبب هذا الافتقاد"[١] الذى انحرف به منسلخًا عن المجتمع إلى حالة من الانطواء والانعزال تارة، والتمرد والسخط تارة أخرى، ومهما يكن فقد بدت مظاهر الاغتراب الاجتماعي فى تلك المدونة الاغترابية الديبية على النحو التالي:

(أ) التهميش والنبذ:

أولًا التهميش: لقد عانى (عبد الحميد الديب) من مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي النابع من تهميش المجتمع له، وتجاهل أفراده لمعاناته، وانصرافهم وصدهم عنه دون أن تُمد له يد العون، وما أشدها من غربة، بل وما أغربها من غربة؛ "إذ أغرب الغرباء من صار غريبًا فى وطنه...إذا قال لم يسمعوا قوله وإذا رأوه لم يدوروا حوله"[٢] تجاهلًا وتهميشًا لمعاناته، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من البسيط}**

أبلغ بحظي ذا ســــــــمع وناظره فقد تصـــامم عني كل مخلوقِ

من نفخة الصور آهاتي وقد فزعت لها القبور ولم يفرج بها ضيقي[٣]

وتتضح مظاهر الشعور بالاغتراب الاجتماعي النابعة من حالة النبذ والتهميش الاجتماعي في قوله: (فقد تصامم عني كل مخلوق) الذي قد أردفه بقوله: (من نفخة الصور آهاتي...)؛ لما في ذلك من دلالة على تجاهل المجتمع لما يعانيه من بؤس وشقاء قد لازمه طيلة حياته دون أن يجد من يخفف عنه معاناته أو يدفع عنه غائلة البؤس والشقاء.

ومن الجدير بالذكر أن مرارة شعور(الديب) بالاغتراب الاجتماعي النابع من تجاهل المجتمع لمعاناته قد وصلت إلى قمتها وعَمقت لديه الشعور الوجداني بالاغتراب الاجتماعي عندما وجد

---

(١) الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة/محمد كامل حسين، ص٢١٦، ط المؤسسة العربية –بيروت– عام ١٩٨٠م.

(٢) الإشارات الإلهية، أبي حيان التوحيدي، ت/ عبد الرحمن بدوي، ٨٢/١، ط مطبعة جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٠م.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب،ت/محمد رضوان، ص١١٧، ط مكتبة الآداب–القاهرة– الطبعة الثانية عام ٢٠١٣م.

المجتمع قد انصرف عنه ومال إلى غيره ممن شاركه البؤس والشقاء، فراح يتألم فى تعجب من تعاطف الناس مع (طه حسين) وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناه، فقال: **{من مجزوء المجتث}**

عشـــرين عـامًا أنادي ولم أجـــد لي ســـميعا
وأَنَّ (طـــــــه) فأَنَّتْ له البـــــــلاد جميعا
يارب حتى ببؤســـــي أرى مكانـــــي وضيعا
يبكون عن بـؤس (طه) ولم يذق فيه جـــــوعا
ولا تشـــــــرد يومـــا ولا أصـــــــاغ مطيعا
ولا عداه رحيـــــــــل لم يرج منه رجـــــوعا
أما أنا فترانـــــــي في كل يوم صـــــــــريعا
ما مر يوم بعمـــــــري إلا وكان مـــريـــــــــعا
مهـــاجر في شـــــــقاء أطويه عريـــــا وجـــوعا
أرجو الحيـــــاة كفـــافا واليـــسر لن أستطيعا[1]

والأبيات تبوح بحالة من الحزن والأسى الممزوج بالألم والحسرة، نتيجة لغفلة وتجاهل المجتمع لمعاناته وبؤسه وشقائه، بل والصد عنه فى جفاء، رغم ما يعانيه من تشرد ووحدة، ثم الميل والعطف فى حنان وإجلال إلى غيره ممن شاركه البؤس والعناء أمثال (طه حسين)، مما كان له أثر كبير فى إحساسه بمرارة الظلم الاجتماعي الذي سيطر على وجدانه، فعمق لديه الشعور بالاغتراب الاجتماعي، وتبدو براعته في نظمه الوجداني لتلك المشاعر الاغترابية عندما افتتح أبياته بِعَقده مقارنة بين معاناته، وأنين (طه حسين) في كتاباته عن البؤس والشقاء، إذ بَيَّن أنه بمجرد أنينه في تلك الكتابات تكاتف المجتمع في أن يدفع عنه غائلة البؤس في حين أن (الديب) ظل ينادي مستغيثًا قرابة العشرين عامًا دون أن يجد معينًا له بين أفراد المجتمع، وينفعل تارة أخرى ويشتد لديه الشعور بالاغتراب الاجتماعي فيلجأ إلى الله –عز وجل– مناجيًا عَلَّهُ يجد الخلاص مما يعانيه من ألم، مسترسلًا فى شكواه عبر استكماله لما يعانيه من فاقة وبؤس أسلمه إلى التشرد وهجر المجتمع والانطواء فى شقاء وألم دون أن يجد حد الكفاف!

ولم يكن هذا فحسب، فتجاهل المجتمع لمعاناة (الديب) لم يبدُ مقصرًا على صد أفراد المجتمع عنه وعدم مد يد العون له ودفع غائلة الفقر عنه أو استئثار غيره بالعطف، ولكن تعدى ذلك التجاهل إلى تغافل الناس عما يتحلى به من موهبة شعرية وثقافة فكرية، وإكرامهم لمن دونه ثقافة، ونتيجة لذلك ارتفعت النبرة الاغترابية لديه فشعر بظلم المجتمع له فقال: **{من الكامل}**

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٤٣ وما بعدها.

نحن الملائكُ والملوكُ وحسبنا بالشعر تزكيةً ونيل وشـــاحِ
يا محنة الأدب الرفيع بمعشر جعلوا السفاهة آية الإفصاحِ
لا يصدع الزبد الجفاء سفينة والبحر طوع رغائب المـــلاحِ[١]

إن صرخة (الديب) الاغترابية قد نبعت من رغبة إنسانية بحتة؛ لأن "بعض الشعر يمثل مهمة إنسانية أساسها النقد فضلًا عن محاولة خلق موقف عقلي أو فكري ضد أساليب الحياة التى أمست تبنى على أسس خاطئة"[٢]، ونتيجة لذلك قد ارتسمت معالم الاغتراب لديه وبدت ملامحه من خلال اعتداده بذاته –النابع من إفصاحه عن مكانته الشعرية ومنزلته الأدبية– الممزوج بشعوره الوجداني بالحزن الناتج عن جهل المجتمع به وتهميشه له، وإكرامه للسفهاء البلهاء من مهرجي الأفراح، وللمتلقي أن يتأمل براعة شاعرنا حالة حديثه عن ذاته، حيث استهل أبياته بالضمير (نحن) الذي يفيد التعظيم وذلك عند إسناده للذات المفردة، ثم إخباره عن ذاته بلفظين على صيغة الجمع وهما: (الملائك والملوك)، وبذلك فقد ارتقى بنفسه عن البشر فوصل إلى درجة الملائكة تارة، ثم أراد أن يرتقى عن عامة البشر تارة أخرى، فوصف ذاته بأنه ملك من ملوك الأرض مبينًا أن هذا الشعور الذي يكنه داخله ويشعره بالتفرد عن بني جنسه أو عن المحيطين به من العامة يبدو نابعًا من كونه شاعرًا، فقال: (وحسبنا بالشعر تزكية ونيل وشاح) الذي يعكس اعتزازه بشاعريته واكتفاءَه بها درة تُزين مفرق رأسه، ووشاحًا يزين به عنقه وجيده.

وتتعالى صرخته الاغترابية فيلجأ إلى أسلوب النداء، علَّه يجد مَن يخلصه من محنته وكآبته وعذابه الوجداني وظلم المجتمع له، وقد آثر أداة النداء (يا) دون غيرها من الأدوات؛ لما فيها من امتداد صوتي يبوح من خلاله عن مدى معاناته الوجدانية وغربته، ليبث فيه جل أحزانه الاغترابية وأشجانه الوجدانية فقال: (يا محنة الأدب الرفيع) الدال على حزنه الوجداني على ما أصاب أهل صنعته من الأدباء وأصحاب العقول النيرة من هوان وذل وتهميش اجتماعي وانصراف وجداني عنهم، وقد وصل إلى قمة الشعور الوجداني بالاغتراب عندما قال: (بمعشر جعلوا السفاهة آية الإفصاح) المؤكد على شدة حزنه جراء ما أصاب مجتمعه حينئذ من جهل وضلال، جعله يُكرم السفهاء ويدير ظهر الترس للأدباء أصحاب الذوق الرفيع والحكمة البليغة والعبقرية الشعورية!!!

ومن الطبعي أن يولد هذا الشعور الوجداني بالاغتراب الاجتماعي صِراعًا نفسيًا داخل الخلجات الوجدانية للشاعر، ونتيجة لذلك وجدت النفثات الشعورية له قد تباينت، فبعد تلك الثورة الاغترابية

---

(١) السابق نفسه، ص ٩٩ .

(٢) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، د/أحمد علي الفلاحي، ص٧٠، ط دار غيداء للطباعة والنشر والتوزيع–العراق– الطبعة الأولى عام ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م.

والانفعال الوجداني المملوء بالحزن والأسى، راح يعتصم بعبقريته العقلية وحكمته الشعرية، رغبة منه في التخفيف من انفعاله الوجداني وحزنه النفسي فقال: (لا يصدع...) الذي يبث من خلاله الدعوة إلى شدة البأس وقوة التحمل، وذلك على نقيض الشعور الاغترابي الذي يسيطر عليه العجز والانكسار، ومن العجيب أنه رغم محاولته في إظهار تجلده وقوة إرادته أمام تجاهل المجتمع لموهبته الشعرية فإنه سرعان ما يستسلم في خضوع ويأس يجعله يتذكر موقف المجتمع تجاهه وفي مثل تلك الحالة الاغترابية يشعر الإنسان بـ" التهميش والعزل والإقصاء...وأنه لم تعد تربطه بالنسيج الاجتماعي روابط حميمة...فينكفيء الفرد وينطوي على ذاته ويشعر بالفردانية ومن ثم تنجم عن هذه الحالة توترات نفسية "[1] تقوده إلى الإحساس بمرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي، ومما يؤكد ذلك أنه راح ينطوي على ذاته فى انعزال قاده إلى الشعور بالوحدة التى جعلته يعاتب فى انكسار هذا المجتمع الذى جهل منزلته ومكانته الأدبية ونبوغه الفكري الذى لم يلبث إلا وقد اصطدم بصخرة حياة البؤس والشقاء والمعاناة التى عاشها بعد أن كان يأمل أنه سيحظى- من خلال هذا النبوغ الأدبي- بمكانة اجتماعية تضاهي ما عليه قرناؤه من الأدباء والمفكرين، وفى هذا قال: **{من البسيط}**

يا أمة جهلتني وهي عالمـــــةٌ أن الكواكب من نوري وإشراقي
أعيـــش فيكم بلا أهل ولا وطن كعيش منتجع المعروف أفــاقِ
وليس لي من حبيب فى ربوعكم إلا الحبيبين: أقلامي وأوراقي[2]

لجأ (الديب) فى هذه الأبيات إلى أسلوب النداء- كعادته -فى صرخة اغترابية تبرهن على رغبته في الخلاص مما يعانيه من مرارة شعور بالاغتراب الاجتماعي النابع من تهميش ونبذ المجتمع له وتجاهله لما اتسم به من عبقرية شعرية وثقافة فكرية فقال: (يا أمة جهلتني وهى عالمة...) وفي ذلك دلالة على مرارة شعوره بظلم المجتمع له وتعمده في تهميشه وإنكار وتجاهل نبوغه الفكري، ولم يكن هذا فحسب فيصرح (الديب) فى تلك الأبيات بأثر هذا التجاهل المجتمعي له مبينًا أنه قد أصيب بالعزلة والانطواء والوحدة فقال:(أعيش فيكم بلا أهل ولا وطن) للدلالة على مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي وما يكتنفه من ألم وحزن جراء تلك الغربة الاجتماعية، أضف إلى ذلك تأكيده على ما يعانيه من وحدة وانعزال فقال: (وليس لي من حبيب في ربوعكم إلا ...أقلامي وأوراقي) الدال على غربته الثقافية والفكرية وتفرده – في هذا المجتمع المتجاهل لنبوغه – بالعبقرية الأدبية

---

(١) الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي مقاربة موضوعاتية للخطابات الشعرية لإيليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي وأبي القاسم الشابي : د/محمد الهادي بوطارن ، ص ٢٠٠، ط دار الكتاب الحديث – القاهرة – عام ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١١٢ .

والشعرية، وكأنه يؤكد بأن المجتمع ما تغافل عنه إلا حسدًا له على ما يتمتع به من عبقرية فكرية، وثقافة شاعرية، الأمر الذى جعله يمجد العزلة والانطواء داخل حجرته، فقال: **{من الكامل}**

يا غرفتي ما عشت أحبوك الرضا فلقد حجبتِ عن الورى أوصابي
فعلى ثراك عفرت جســـمي نائما كثرى البقيـــــــــع لعابد أوابِ
ووقيتني فى مدمعي وشـــكايتـي أذن اللئيـــــم ونظرة المرتابِ[١]

وتبدو مظاهر الاغتراب الاجتماعي في تلك الأبيات من خلال استفتاحه أبياته بمناجاته لغرفته والحديث إليها في شجن وانكسار، إذ بث إليها آهاته وأحزانه حالة انعزاله وانطوائه وحيدًا فيها ممجدًا وحدته وعزلته داخل تلك الغرفة، وذلك من خلال إظهار ميله الوجداني لتلك الغرفة التي حاكى ثراها في وجدانه ثرى البقيع في وجدان العابد الأواب، وفي هذا دلالة على مدى قدسيتها في وجدانه، ثم يسترسل في بيانه للباعث الذي دفعه إلى تمجيد تلك الغرفة، فقال: (حجبت عن الورى أوصابي– وقيتني...أذن اللئيم ونظرة المرتاب) وفي هذا دلالة على غربته الاجتماعية النابعة من ميله إلى انعزاله وانطوائه عن المجتمع المحيط به خشية أن يشمت به لئيم ومخادع عَبْر رؤيتهما لدموع انكساره وسماعهما لأنين شكواه.

ثانيًا: النبذ:

إن مظاهر الاغتراب الاجتماعي المتخذة من تهميش المجتمع ونبذه (للديب) سبيلًا لها، لم تبد مقصورة في تجاهل المجتمع له فحسب، بل بدت– بالإضافة إلى ذلك – فى شعوره ببغض المجتمع له إذ رصد العديد من المشاهد المعبرة عن ذلك، فقال: **{من الطويل}**

وعادانيَ الأفذاذ فى الجاه والغنـــي وأنكرني من ذلك الشـــعب ســـــائرُهْ[٢]

والمتأمل لهذا البيت يجد أن (الديب) قد استفتح شطره الأول بقوله: (وعاداني) وفي هذا دلالة على مشاعر البغض والحقد الملقية بظلالها على وجدان أصحاب الجاه والغنى تجاهه حالة رؤيتهم له، أضف إلى ذلك استفتاحه الشطر الثاني للبيت ذاته بقوله: (وأنكرني) الدال على تجاهل سائر الناس كنه شخصيته وتغافلهم عنه، وتبدو القيمة الأدبية لذلك في التأكيد على مظهر من مظاهر الاغتراب الاجتماعي الذي يبدو في الدلالة على الشعور بالوحدة النابعة من النبذ من قِبل الأغنياء، وكذلك التهميش والتجاهل من قِبل عامة الشعب المحيط به، وهذا من شأنه أن يخلق في وجدان (الديب) نوعًا من الشعور بالوحشة وعدم الألفة الاجتماعية وكذلك الإحساس بعدم الانتماء للمجتمع، إذ تقطعت الأوصال بينه، وبين طبقات المجتمع المحيط به غنيهم وفقيرهم، مثقفهم

(١) السابق نفسه، ص ٣٥٦.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص١٢٤.

وجاهلهم، ولم يكن هذا فحسب، فمن المشاهد المعبرة عن غربته الاجتماعية النابعة من شعوره ببغض المجتمع له، مروره على المقهى سامعًا من الأقاويل مايمزق عرضه ويشمت به، فقال: **{من الطويل}**

أمر على المقهى فأســـــمع شامتا يمزق فى عرضي وأخر يشـــــفعُ

وقد ساء ظني بالعباد جميعهـــــم فأجمعت أمري فى العداء وأجمعوا[١]

إن ثورة (الديب) على المجتمع المبغض له، والمتجسدة فى قوله: (فأجمعت أمري فى العداء وأجمعوا)، نتيجة لتصاعد الانفعال لديه بالشعور بالاغتراب الاجتماعي، رغبة منه فى الثأر لذاته المعذبة ولا غرابة فى ذلك فـ "يرى علماء النفس أن شعور الإنسان بالضعف أو عدم انسجامه مع مجتمعه قد يؤدي به إلى العدوان والتمرد وإظهار القوة وفى ذلك توجه ينم عن غربة نفسية حادة"[٢] داخل مجتمعه، حيث إجبار المجتمع له أن يهدد بفعل يتنافى مع طيب خلاله وكرم صفاته.ومهما يكن فهناك العديد من المشاهد التى رصدها (الديب) للتعبير عن بغض المجتمع المحيط به كنفور النساء من سمرة وجهه[٣]، وإلصاق الناس به التهم الواهية[٤] حتى شمل هذا البغض ولاة الأمر الذين انصرفوا عنه عندما رفع مظلمته لهم[٥]!!!

ومن الجدير بالذكر أن تعبير (الديب) عن اغترابه الاجتماعي تارة يأخذ مشهد الصمود تجاه ذلك التغافل والبغض الاجتماعي وذلك عبر اعتداده بذاته، وتارة يتخذ من الخضوع والانكسار والشكوى والأنين سبيلًا يُعَبر من خلاله عن مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي، وهذا ما يؤكد وهن شخصية (الديب) وقلة عزمه، إذ راح يعترف بانهزامه أمام التغافل والتهميش الاجتماعي، مبينًا أنه قد تخلف عن ركب المجتمع وانطوى عنه في انعزال أشعره بأنه بات منبوذًا نبذًا يحاكي نبذ المجتمع المسلم للكافر الملحد[٦]، والتفسير النفسي لتلك الحالة الوجدانية التي عليها (الديب) يؤكد على فشله في التواصل والتفاعل مع المجتمع، مما يبرهن على غربته الاجتماعية التي قد فسرها بعض النقاد بأنه يبرهن على شخصية (الديب) الواهنة العاجزة عن التفاعل والتواصل مع أفراد المجتمع، فقال:"أنه لم يكن من الشخصيات القوية صاحبة الإرادة والعزيمة وصاحبة الحيلة الواسعة في مواجهة الحياة فكان لا يجيد شيئًا في حياته غير كتابة الشعر وكان من الشخصيات التى لا تستطيع الاعتماد

---

(١) السابق نفسه، ص٣٩٧.

(٢) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة نفسية اجتماعية)، ص١٥١.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣٩٠.

(٤) السابق نفسه، ص٤٣٤.

(٥) السابق نفسه، ص٤١٠، ص ٤١٥.

(٦) السابق نفسه : ص ٤٢٣.

على نفسها ومما يبرهن على ذلك أنه قد عاش فى نفس الجيل الذى عاش فيه طه حسين والعقاد والمازني وزكي مبارك وغيرهم من الرواد الذين اشتركوا معه في محنة البؤس والفقر، بل منهم من تفرد عنه بمحنة العمى كـ(طه حسين) ولكن لم يستسلم هؤلاء –في معظمهم – لظروفهم الصعبة القاسية ولم يستسلموا لظروف المجتمع"[١] وهذا ما أميل إليه، ومما يؤكد ذلك محاولته في التواصل والتفاعل مع المجتمع ولكن لوهن إرادته وقلة حيلته سرعان ما استسلم لواقعه المرير وفشل فى تغييره، ومما يؤكد ذلك عدم اكتفائه بالوحدة والانعزال والانطواء، بل الميل إلى مجتمع آخر مغاير للمجتمع المحيط به، إذ راح ينسلخ من مجتمعه إلى مجتمع إلى المجانين وتلك نتيجة حتمية للفرد عندما لا يستطيع التكيف مع المجتمع المحيط به نظرًا لما يتسم من وهن للعزيمة وعدم القدرة على الصمود، ومما يؤكد ذلك أن الإنسان عندما يعاني من التهميش في مجتمعه تجده"غريبًا عن ذاته وعن مجتمعه بالمعنى الروحي والنفسي والاجتماعي...وفي كل الحالات نجده عاجزًا عن التلاؤم والتكيف مع الأوضاع الاجتماعية فينسلخ عنه"[٢]راحلًا إلى مجتمع وعالم آخر ينسجم مع فلسفته الفكرية عله يجد الخلاص مما يعانيه من مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي، ومما يؤكد ذلك ميله الوجداني إلى مجتمع المجانين، فقال: **{من الوافر}**

رعاك الله (مارســـــــتان) مصر فإنك دارُ عقل لا جنـــــونِ
حويت الصـــــابرين على البلايا ومن نزلوا على حكم الســـنينِ
وكم في مصر من غر غبـــــي تمتع بالجميـــــــل وبالثمينِ
ولو عدلوا لأمســـــــى (خانكيا) يعذب بالشمال وباليميـــــنِ![٣]

ويستفتح (الديب) أبياته المعبرة عن مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي بالدعاء لموطن المجانين ودارهم في فلسفة شعورية تعبر عن ميله الوجداني تجاه مجتمع المجانين ونفوره من المجتمع المحيط به؛ إذ في ظل قناعته الفلسفية ورؤيته الفكرية يرى (المارستان) دارًا للعقلاء لا للمجانين، فقال: (فإنك دار عقل لا جنون) وفي هذا دلالة على نفوره من المجتمع المحيط به وميله الوجداني إلى مجتمع المجانين، ويصل إلى قمة الانفعال الوجداني الناجم عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي عندما يصرخ قائلا: (وكم....ولو عدلوا لأمسى خانكيا) المؤكد على حالة عدم الانسجام التى تعتريه تجاه المجتمع المحيط به حيث ظلمه وجوره له، إذ راح المجتمع يكرم كل أحمق كاذب قد حاكى في غبائه المجانين بأن قلده أسمى المراتب فى حين قلب (للديب) ظهر الترس معاديًا ونافرًا منه

(١) انظر عباقرة ومجانين، ص ٢٨٥، (بتصرف يسير).
(٢) الاغتراب فى الشعر الرومانسي، ص ٥٠.
(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١١٧ .

ومهمشًا ونابذًا له، ولم يكن هذا فحسب فلقد راح يتابع انسلاخه من المجتمع المحيط به فمال تارة أخرى- بالإضافة إلى ما سبق- إلى مجتمع السجناء وانسجم وجدانيًا معهم فأخذ يأسى لمصابهم ويخفف عنهم ما ألم بهم مقتنعًا بفلسفته الاغترابية في أنهم ضحية مثله لظلم المجتمع وقهره وأنهم أبرياء يستحقون الخروج من السجن وأن من هم خارج السجن هم المستحقون لأن يلجوا فيه، ونتيجة لذلك "فقد كان السجناء يغدون من حوله ويروحون فريق منهم كان يقتله الحزن اليائس وفريق آخر كان يحيا في الأمل ويعيش بالرجاء وفي المساء حينما يجتمع الفريقان في العنبر المتجهم يتحلقون حول الديب ليمسح بحديثه الممتع على مواجع المحزونين اليائسين ..."[١]، ومما يؤكد ذلك قوله:

{من الرمل}

ولج السجن بريء طاهر وأخـــو زلاتـــــه لم يلجِ
ناء بالأبرار عن جناتهم إن رب الفســق مبرور نجِ
هكذا الدنيا رأينا ليـــلها فى صباح واضـــح منبلجِ[٢]

ولم يكن هذا فحسب فلقد حزن (الديب) لسجين ضرير قد عذبوه[٣]، مما يبرهن على صدق ميله الوجداني لهذا المجتمع الذي يشعر فيه بمكانته ومنزلته، حيث التفافهم حوله وسماعهم له حالة وجوده بينهم، ومن الجدير بالذكر أن لشخصية (الديب) المضطربة المتناقضة تجده تارة أخرى ينفر من كل المجتمعات باثًا شكواه إلى الله -سبحانه وتعالى- فى شجن وألم يعبر عن غربته الاجتماعية النابعة من شعوره ببغض المجتمع له[٤]، وهذا ينم عن صفاء وجدانه وتأثره بنظم القرآن الكريم وأخلاق الإسلام وإن كان في بعض الأوقات تمرد وثار فشرب الخمر وجاهر بها ولكنه لم يلبث حتى دخل فى التجربة الصوفية المعبرة عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي.

(ب) تهاوي القيم الإنسانية (اللامعيارية):

إن تهاوي القيم الإنسانية وانهيار الأخلاق في المجتمع تدفع الإنسان إلى عدم القدرة على التلاؤم والتكيف مع أفراد هذا المجتمع والذي بدوره يدفعه إلى الانفصال عنهم والشعور بألم الاغتراب الاجتماعي حالة وجوده بينهم، لأن "حاجة الفرد إلى التعايش والاندماج في واقعه بكل مكوناته تجعله دائمًا مرتبطًا بهذا المجتمع مادام أنه يشعر فيه بالتجانس؛ ولذلك فإن افتقاد مقومات هذا الاندماج من الممكن أن يخلق لديه انفصالًا وجدانيًا عن محيطه، فيحيا بهذا الإحساس الذاتي كأنه

---

(١) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، ص ٥٢ .
(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٣٥.
(٣) السابق نفسه، ص ١٥٨.
(٤) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٣٢.

غريب عن مجتمعه"[١] نتيجة لما أصبح عليه مجتمعه من انهيار للأخلاق وتهاو للقيم الإنسانية، ولا غرابة في ذلك فتهاوي الخلال الحميدة وإحلال خبث الطباع ولؤم الصفات مكانها من شأنه أن تجزع منه النفوس الأبية، بل وتشعر تجاهه بالاغتراب الممزوج بالأسى والنفور، لأن "أبرز خصائص الإنسان المميزة هى الرابطة الأخلاقية التي تصله بمجتمعه...الأمر الذي يجعل هذه الرابطة ذات طبيعة اجتماعية فالإنسان لا يخضع لظروفه المادية المفروضة عليه قدر خضوعه إلى ضمير يسمو على ذاته هذا هو الضمير الاجتماعي...غير أن المجتمع عندما يضطرب نتيجة أزمة من الأزمات، أو بسبب انتقالة نفعية عابرة فإنه يصبح بصورة وقتية غير قادر على ممارسة تأثيره"[٢] ولطالما سيطرت تلك المشاعر الاغترابية على (الديب) تجاه مجتمعه لنجده تارة يرفضه المجتمع وذلك من خلال نبذه وتهميشه وإقصائه له، وتارة نجده رافضًا للمجتمع منفصلًا عنه فى انطواء وانعزال عَبر إعلان نفوره مما أصبح عليه المجتمع حينئذ من تهاو للقيم والأخلاق الإنسانية، بل وحسرته الممزوجة بمشاعر اليأس مما أصبح عليه مجتمعه من خبث خلال بات دائم الالتصاق بها فما لبرئه منها مناص، فقال: **{من الوافر}**

على الأخــلاق فى مصر عفاءٌ فمــا لظلامها أبدا صبـــــاحُ[٣]

وتبدو مظاهر الشعور بالاغتراب الاجتماعي في إعلان (الديب) سخطه ونفوره من الأخلاق التي سادت المجتمع حينئذ، حيث أفصح عن حالة الشجن الوجداني التي أصابته جراء تهاوي القيم الإنسانية في مجتمعه، فقال: (على الأخلاق في مصر عفاء) وفى هذا دلالة على مشاعر يأس الممزوج بالألم والحسرة التي تم تأكيدها من خلال وصفه لأخلاق المجتمع بالليل المظلم الذي ليس لظلمته إصباح فقال: (فما لظلامها أبدًا صباح) وفي هذا تأكيد على حالة اليأس الممزوج بالحسرة والأسى لما أصاب المجتمع حينئذٍ من ضلال وعدم رشاد، ومن ذلك يتبين أن فى إعلانه النفور والتمرد والثورة على المجتمع الفاسد وما به من أخلاق خبيثة، تجسيد للضمير الإنساني النابض بالحياة، حيث اغتراب تلك الخلال الخبيثة عن ذاته، ونتيجة لذلك تعمق لديه الشعور بالاغتراب الاجتماعي فراح تارة أخرى يجرد من الأخلاق إنسانًا يبث له مكنونه الوجداني المليء بمشاعر الحزن والأسى جراء ذلك الصراع النفسي المرير ولا يعد ذلك هروبًا من الحقيقة المريرة، لأن "الشاعر حين يستخدم خياله لا يهرب من الحقيقة، بل يلتمس الحقيقة كذلك فى الخيال، فالخيال

---

(١) الاتجاه الوجداني فى الشعر العربي بمنطقة الخليج (دراسة فى القصيدة الإماراتية)،د/عادل نيل، ص (١٣٣ ، ١٣٥) ، ط دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة – الطبعة الأولى عم ٢٠١٦م .

(٢) الاغتراب اصطلاحًا ومفهومًا وواقعًا، د/قيس النوري، ص ٢٥ ، مجلة عالم الفكر العدد الأول ، المجلد العاشر عام ١٩٧٩م.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص٢٩٥.

والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي"[١] الذي يبرهن على الشعور الوجداني لديه بالاغتراب الاجتماعي، فقال: **{من الكامل}**

أشكو إلى الأخلاق غرًا والغًا فى الإفك رغم هداية النصاحِ

كــم ذا أقلت عثارهُ ورحمتـه فارتد يهجــو نعمتي ويلاحِي [٢]

وتبدو مظاهر الاغتراب الاجتماعي فى توجه (الديب) إلى (الأخلاق) بالشكوى الممزوجة بالشجن والأسى جراء تجربة مريرة متأثرة بواقع اجتماعي خبيث جمعه بإنسان مخادع فقال:(أشكو إلى الأخلاق) الدال على حالة النفور الوجداني الملقية بظلالها على وجدانه جراء تلك التجربة الاجتماعية المريرة، التى جعلته ينفر من المجتمع بأسره، ملتجئًا إلى خياله الشعري ومبتعدًا عن هذا الواقع الاجتماعي الخبيث؛ ليجرد من (الأخلاق) إنسانا يتحدث إليه ويبوح له بمكنونه الوجداني المملوء بمشاعر الحزن والأسى عما أصابه، وفي هذا دلالة على حالة الصراع النفسي المريرة جراء ذلك الشعور الاغترابي لديه هذا، وقد تعالت صرخاته الاغترابية عندما راح يعدد للمتلقي الصفات الخبيثة لهذا المخادع في محاولة منه للتأكيد على شعوره الاغترابي تجاه المجتمع وأفراده، فقال: (غرًا والغًا فى الإفك رغم هداية النصاح) الدال على شدة كذب هذا المخادع وألفته للكذب ودروبه، رغم هداية النصاح له بأن يترك سبيل الكذب، ولم يكن هذا فحسب، فلقد ازدادت صرخات (الديب) الاغترابية ارتفاعًا، عندما انتقل من تعداده للخلال الخبيثه التي عليها ذلك المخادع إلى أثر بعضها عليه من خلال التجربة الاجتماعية التى جمعته به فقال: (كم ذا أقلت عثاره ورحمته)، متخذًا من الأسلوب الخبري سبيلًا يبث فيه مشاعره الاغترابية، حيث بَيَّن أنه قد كان له نعم الناصر والمعين غير أن هذا المخادع قد قابل هذا باللؤم، وقد عبر (الديب) عن ذلك بقوله :(فارتد يهجو نعمتي ويُلاحي)، حيث عبر بلفظ (فارتد) الدال على الكفران والجحود والنكران والمجسد لشدة وقع تلك الخلال الخبيثة على وجدانه مما يعكس مرارة الشعور الاغترابي لديه.

إن الخلال الخبيثة التى اتسم بها المجتمع حينئذٍ والتي بدورها عمقت لدى (الديب) الشعور بالاغتراب الاجتماعي لم تبد مقصورة فحسب على اللؤم والكذب والجحود، بل لقد كان البخل من الآفات الاجتماعية التى تجرع من جرائها مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي، إذ راح ينقل للمتلقي معاناة الفقراء وما يتجرعونه من بؤس وجدب في ظل وجود هؤلاء الأغنياء البخلاء الذين راحوا يتنعمون بالثراء، متفاخرين بالألقاب دون أن ترق قلوبهم بالعطف على الفقراء، فقال: **{من البسيط}**

---

(١) التفسير النفسي للأدب، د/عز الدين إسماعيل، ص ٣٦، ط مكتبة غريب–الفجالة– الطبعة الرابعة(د.ت).

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٩٧ .

ذوقوا عذاب الطوى يا آكلي الذهب لا تتركوا الناس نهب الجوع والوصبِ
أحياء بالدور موتى لست تعرفهم ماتوا من العز أم ماتوا من السغبِ
وصابرين يكاد الجوع يطعمهم مثل البهائم سوق التبن والحطبِ
الأبيات(١)

وتتضح مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي في هذه الأبيات من خلال تصريح (الديب) بأن المجتمع قد انقسم فى عدسته الاغترابية لفئة بائسة تزعمها، وفئة أخرى من الأغنياء المتسمين بالبخل والشح، إذ استفتح أبياته بالدعاء على الأغنياء البخلاء بأن يتجرعوا مرارة الجوع الذي فتك بأجسام الفقراء، آمرًا إياهم بأن يعطفوا عليهم بالعطايا التى من شأنها أن تدفع عنهم افتراس الجوع لهم، ثم راح يصف حال قومه البؤساء حالة تجرعهم لمرارة ليل البؤس صابرين على الجوع وألمه الذي كاد يجبرهم على تناول (التبن) وطعام البهائم من شدته، فى حين أن هؤلاء الأغنياء باتوا في ليلهم يتمتعون بالنعيم، ونتيجة لذلك ينفعل وجدانيًا فيصرخ صرخته الاغترابية معلنًا أن هؤلاء الأغنياء البخلاء لا ينتمون إلى مجتمعه البائس، فبَيْنَ المجتمعين طلت وحشة الاغتراب المتمثلة في تناقض المشاعر وتباينها، إذ عقد مقارنة بين ألم الجوع واستمتاع الترف والنعيم، ولم يكتف فى صرخته الاغترابية بهذا التصريح، بل راح يهجوهم بمجدهم الزائف وألقابهم الكاذبة ورتبهم الخادعة.

ومن الجدير بالذكر أن جهل المجتمع المتجسد في عدائه للنابهين من أرباب الفكر والأدب يعد من أهم المظاهر المعبرة عن شعور (الديب) بالاغتراب الاجتماعي، فقال: **{من البسيط}**

والجهل فى الشعب يعميه فليس يرى إلا الكفايات والأكفاء أعداءَ
فأي حال نرجيها لتسعدنا يارب أهلك بهذا الشعب حواءَ(٢)

والمتأمل في البيت الأول يجد أن الشاعر قد استفتحه بلفظ (الجهل) المنسوب إلى (الشعب) وفي هذا دلالة على مرارة شعوره الوجداني بالحزن والأسى لما عليه المجتمع المحيط به من جهل قد أعماه عن طريق النور وأضلَّه عن طريق الهداية، فساقه إلى دروب الظلام وجعله يقنع بحياة الذل والهوان ويعادي أرباب الفكر من النابهين، الأمر الذى ترتب عليه شعور (الديب) بالاغتراب داخل هذا المجتمع الجاهل، ونتيجة لذلك أصيب باليأس والإحباط، فراح يصرخ داعيا على البشرية بالإهلاك بسبب هذا المجتمع الفاسد!!!

ومن الجدير بالذكر أن عداء المجتمع حينئذ للنابغين من المثقفين والنابهين من أرباب الفكر والأدب، لم يقتصر فى نزعة (الديب) الاغترابية على إظهار معالم البغض فحسب لتلك الطائفة، بل تعدى لتمجيد

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٠١.
(٢) السابق نفسه، ص ١٦٤ ومابعدها.

غيرهم من الحمقى والجهلاء والجبناء فجعل الثراء والنعيم والمنازل السامية من نصيبهم، ثم جعل البؤس والشقاء والتشرد والضياع قاصرا على النابهين من أرباب الفكر والأدب[١]، وبذلك فقد أراد (الديب) أن يعبر عن خلل القوانين وفساد المقادير (اللامعيارية) في المجتمع المتسم بالجهل والفساد، فبين أن الناس فيه صنفان: صنف دان الغنى لهم فعاشوا فى نعيم ورغد من العيش وهم الحمقى والجهلاء والجبناء والفسدة، وصنف لازمهم البؤس والشقاء وهم النابهون من أرباب العلم والفكر والثقافة والأدب، ونتيجة لذلك ارتفعت لديه مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي بين أفراد هذا المجتمع الجاهل؛ إذ لم يكتف بهذا التقسيم فبين أن الحمقى وأراذل الناس في هذا المجتمع الجاهل قد تحالفوا ضد النابهين من الأدباء والنابغين البائسين، فأصبحوا ضحية لهذا النبوغ الفكري والأدبي، فارتفعت صرخته الاغترابية معلنًا تمرده وثورته على قوانين هذا المجتمع الفاسد وحياته المجحفة، متسائلًا فى حسرة عن ماهية تلك القوانين المضيعة لحقوق النابهين من الأدباء والمفكرين، فقال:**{من الطويل}**

بأي قوانينِ الحيـــــاة نســـاس وفى كل يـــــوم بالطغام نداسُ
فعشنا ضحايا للمـــــواهب والحجا ترينا ديار بيـــن مصر وناسُ[٢]

إن تهاوي القيم الإنسانية فى المجتمع المحيط بـ (الديب) حينئذ لم يقتصر على ذلك فحسب، بل تعدى ذلك إلى خيانة الوطن ومعاونة المستعمر الغاشم والمحتل البريطاني البغيض، ونتيجة لذلك رصدت ريشة (الديب) المفعمة بالإحساس بمشاعر الاغتراب الاجتماعي الصفات الخبيثة لهؤلاء الخونة وما اتصفوا به من غدر وفسق وخبث، فقال: **{من البسيط}**

كدأبك الدهر من قوم أبالســـــة ما فيهم لمجال الخيـــر إنسانُ
صلوا وصاموا وهم فســاق أمتهم وكلهم ســـــاقط الآمال خوانُ
كم أهدروا من دم حر وكم سجنوا وكم أذل بهـــــم قوم وأوطانُ
ثعالب وذئاب فى حقيقتهـــــم وفى تنكرهم شـــــــاء وحملانُ
حرب على الشعب فى أيام محنته وهم لأعدائه جنـــــــد وأعوانُ
يندس واحدهم فى أي مجتمـــع كأنه بينه للذل عنـــــــــوانُ
تملق ورياء فى مصـــــانعـــة يلين فى كل لمـــس وهو ثعبانُ[٣]

وللقارىء أن يتأمل براعة (الديب) في إفصاحه عن الخلال الخبيثة لهؤلاء الخونة الموالين للمحتل البغيض فقال: (قوم أبالسة – صلوا وصاموا وهم فساق– كلهم ساقط الآمال خوان– كم أهدروا من

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٠٢ وما بعدها .
(٢) السابق نفسه، ص ٤٣٣.
(٣) السابق نفسه، ص ٣١٩ وما بعدها.

دم حر...أوطان- ثعالب وذئاب فى حقيقتهم – في تنكرهم شاة وحملان- يندس – تملق ورياء – ثعبان)، حيث صرح تارة بأوصافهم الخبيثة فبين أنهم يحاكون الشياطين في إغوائهم وإضمارهم الشر كما أنهم يتسمون بالنفاق والرياء والحمق والغدر والخيانة، ثم اتخذ من القناع وسيلة للتعبير عن أوصافهم والتي أتت كالتالي: قناع الثعلب المبرهن على مكرهم وخداعهم، وقناع الذئب المعبر عن خستهم ونذالتهم، وقناع الشاة والحمل الدال على خداعهم وزيفهم، حيث جعله فى مقام اندساسهم بين الناس في مكر وخداع والعمل جواسيس للمحتل، ونتيجة لذلك راح ضحيتهم الكثير من الشباب والأبطال، أضف إلى ذلك قناع الثعبان المؤكد على شدة خداعهم ومكرهم، ومهما يكن فإن خيانة الوطن وماترتب عليها من شعور لدى (الديب) بنزعة الاغتراب الاجتماعي لم تقتصر فحسب على معاونة الفسدة للمحتل البريطاني البغيض، بل تعدت إلى ما اتسم به الشباب حينئذ من جبن وخضوع وذل للمحتل، لأن فى جبن الشباب ضياعًا للأوطان ونتيجة لذلك راح الديب يصرخ معلنًا اغترابه الاجتماعي تارة أخرى(١).

إن حديث (الديب) عن فساد أخلاق المجتمع حينئذ وتهاوي القيم الإنسانية ورصده لتلك الخلال الخبيثة فيه ما كان إلا رغبة منه فى محاولة البحث عن الصورة المثلى للمجتمع الذي يأمل أن يعيش فى كنفه، ومما يؤكد ذلك ميله وجدانيًا إلى مجتمع البادية ونفوره من مجتمعه (مجتمع الحَضر)، وما أصعبها من مشاعر اغترابية قد ألقت بقسوتها عليه، حيث تبادل فيها الرفض بينه وبين مجتمعه، وكأنه يعلن رفضه وانفصاله وتمرده عن المجتمع الذى همشه وأقصاه وقد كان ذلك فى فلسفة اغترابية تصل بفكر المتلقي إلى قمة الشعور بالإقناع الفكري المنطقي، فقال:

{المتقارب}

وبين الحضـــــارة مات النَّدَى ولم يعرف الناس معنى الإبـاءْ
وبين الحضارة عاش النفـــاق فكل الذي شـــاءه المال شاءْ
فلا مســـتجيـــر يـرى منجدا وكيف يجيب الأصـــم النداءْ؟
ولا وطن ريـــع يلقى يـــــدا تذود وقلبا يضم الوفـــــــاءْ
جمال البـــداوة أو مجـــدها بعيد عن اللغو والأدعيـــــاءْ
جـــمـــال من المضري الأبي عظيم الخـــلال عظيم البـــلاءْ
إذا هاجم الجلســـة الفاتحون تصدى الرجال لها والنســـاءْ
وفى الخطب لم يذكروا أي خلف ولم يعرفوا بينهـــم من عداءْ

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٠٣ وما بعدها.

جوار الشباب يهب الشـــــيـوخ إلى الحرب كلهـــم أوفيـــاءُ[١]

وتبدو مظاهر الشعور بالاغتراب الاجتماعي في هذه الأبيات من خلال إفصاح (الديب) عن ميله لمجتمع البادية وما فيه من قيم إنسانية قد افتقدها في مجتمعه، فجسد ذلك نفوره من مجتمعه الذى قد أصبح فاقدًا لتلك الأخلاق والصفات النبيلة، إذ راح يبين أن مجتمع البادية قد اتسم بالكرم والجود والشجاعة والوفاء والفطرة والطبع فى حين أن المجتمع المنتمي إلى الحضارة الزائفة بات متسمًا بالبخل والجبن والغدر والتكلف والتصنع الزائف، ثم يختم أبياته بما يعبر عن شجاعة مجتمع البادية، إذ بين أنهم ينفرون إلى القتال فى شجاعة وإباء واتحاد، رجالًا، وشيوخًا، ونساءً نابذين مابينهم من فرقة أو تخاصم، وهذا بدوره يرصد للمتلقي ما اتسم به المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر من خلال خبيثة وآفات اجتماعية جعلته يشعر بين أفراد هذا المجتمع بالاغتراب الاجتماعي، ولم يكن هذا فحسب فقد رصد (الديب) من خلال إفصاحه عن خلال مجتمع البادية ما يفتقده المجتمع الذي نشأ فى ظل الحضارة من خلال طبية قد أحلت محلها خلال خبيثة غير أن براعته الشعرية تبدو فى قوله: (وفي الخطب...لم يعرفوا بينهم عداء) الذي برهن على شدة الترابط الوجداني والنفسي بين أفراد المجتمع واتحادهم ضد عدوهم ونسيانهم لما بينهم من عداوة حالة تعرضهم لغارات العدو، وهذا بدوره يبرز مشهدًا من المشاهد التى عملت على اغترابه اجتماعيًا عن مجتمعه، إذ فى هذا دلالة على حالة التشرذم والتفكك المجتمعي التى انتابت المجتمع المصري تحت وطأة الاحتلال الانجليزي، ونتيجة لذلك راح يعلن نفوره من الأحزاب السياسية حينئذ مطلقًا عليهم برامكة العصر لما بينهم من تشرذم وصراعات حزبية جعلته يشعر بالاغتراب الاجتماعي؛ وذلك لأنه "كان فى أعماقه مقتنعًا بأن الأحزاب المصرية تتصارع في كثير من الأحيان على المصالح لا على المباديء..." [٢] بهدف الوصول إلى المناصب القيادية فى حكومة المستعمر الغاشم، ونتيجة لذلك وصفهم بالخلال الخبيثة كالخسة وكذلك الذل المحاكي لخضوع العبيد، فقال: **{من الوافر}**

برامكة وليس لهم رشـيـــد وأقيال وكلهمُ عبـيـــــــدُ
لكيما يحكمـــوا ركعوا هوانا وطاب لهم من الذل السـجودُ
فيابئس الحكومـة والمعالـي إذا ارتفعت إلى الحكم العبيدُ[٣]

أضف إلى ذلك أن تفسير رصد (الديب) لتلك الخلال الخبيثة ما كان إلا لكونها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشعوره بالاغتراب الاجتماعي، إذ امتزجت تلك الخلال الخبيثة مع طبيعته النفسية فأصابته

(١) السابق نفسه، ص ١٦٩ ومابعدها.
(٢) عباقرة ومجانين، ص٢٨٧.
(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣١٣ وما بعدها.

بعدم القدرة على التكيف مع المجتمع، ومما يؤكد ذلك أن خلة الجبن التى اتسم بها شباب الأمة، وخلة اللؤم والفساد التى اتسم بها القادة والحكام والوزراء حينئذ وولائهم للمستعمر، وخلة البخل التى ألقت بظلالها على جميع أفراد المجتمع تجاهه، وخلالا أخرى كاللؤم والكذب والخداع والنفاق، كان لها أثر كبير في إصابته بالعوز، إذ كان لا يحسن إلا قول الشعر ولم يمتهن صنعة تكف عنه مرارة البؤس الذي كان الدافع الأول فى شعوره بتلك التجربة الاغترابية.

(جـ) اتساع فجوة الانفصال بين الأصدقاء وكذلك الأسرة:

إن اتساع فجوة الانفصال بين الشاعر وأصدقائه تُعد من أهم المظاهر المعبرة عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي، حيث تتأزم نفسيته، ويرتفع لديه الشعور بالحسرة والألم، ومما يؤكد ذلك أن "ملامح الاغتراب الاجتماعي تتصعد في نفس الشاعر من خلال خيانات الأصدقاء المتمثلة في الجفاء والغدر والنسيان فتعلو حسرة الشاعر لهذا الجحود وذلك النكران الذي يشعره بفقد الأمان والوفاء"[١]، والمتأمل في الواقع المعيش لحياة (الديب) الاجتماعية يجد أنه قد ذاق مرارة هذا الشعور الاغترابي، فقال: **{من البسيط}**

وأجلس الليل فى صحبي أسامرهم وكلهـــــم بمجـــالي رقتي حفلُ
حتى إذا سَلَّموا للعود وانصرفـــوا سريت جوعان يفري عزمي الكللُ[٢]

يتجلى الاغتراب الاجتماعي في مشاعر الجوع التى ألقت بآلامها على (الديب) رغم وجود مَن حوله من الأصدقاء ممن يجالسونه ليلًا حافلين بشعره وشاهدين له بالتفوق والبيان، غير أن هذا الجمع الذائف من مدعي الصداقة لم ينتبه لآلامه، فلم يَجُد عليه بالقليل من المال الذي من شأنه أن يدفع عنه رمق الجوع وألمه، بل قدموه قربانا لوحش الجوع يفترس عزمه وإباءَه، وتلك مناقضة رائعة تبرهن على شدة وقع الشعور بالاغتراب الاجتماعي الذي يعانيه شاعرنا تجاه مجتمعه الذي يتحلى فيه الأصدقاء بالجحود والخداع والزيف وعدم الإخلاص فى الود، وقد برع عندما رسم للمتلقي في البيت الأول حالة الانسجام الوجداني التى تعتري هؤلاء الجلساء تجاه ما يلقيه عليهم من شعر فقال: (أجلس الليل...أسامرهم...وكلهم بمجالي رقتي حفل) وفي هذا دلالة على براعته الشعرية وسعة ثقافته وبديع بيانه الذي من شأنه جذب الأذهان وإمتاع الأنواق، أضف إلى ذلك ما في البيت الثاني من تناقض يُعمق جرح الشعور بالاغتراب الاجتماعي لديه إذ قال: (حتى إذا سلموا للعود...سريت جوعان...) حيث أكد زيف وخداع تلك الصحبة التى سعت للاستمتاع ببيانه وفصاحته طوال الليل، ثم تركته وحيدا يعاني ألم الجوع في ليله الدامس دون أن يدفعوا عنه ألم الجوع، وذلك لأن من رافقوه ممن أرادوا الاستمتاع بشعره ومجالسته وجدوا أن حديثه عن ألم الجوع والبؤس يمثل لديهم شعرًا فكاهيًا ساخرًا يضفى

(١) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص٦٥.
(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٩٤ .

على جلستهم نوعا من السرور والسعادة، فراحوا "يروغون منه ولا يعينونه على شئون الحياة، وربما يصارحه بعضهم بأن بؤسه هو سر عبقريته، وأنه من الأجدى على الشعر أن يظل هكذا بائسا!"[١]، فيستمتعون بآلام شقائه ويضحكون أثناء حديثه عن فاقته وبؤسه، ولم يكن هذا فحسب فلقد رصدت عدسة (الديب) الاغترابية العديد من المشاهد المعبرة عن اتساع فجوة الانفصال بينه وبين أرباب الصداقة الزائفة، كأن يبين أنهم يجالسون الوشاة والمبغضين له، بل ويظهرون له العداء والحقد من خلال رنوهم إليه شذرا وازورارهم عنه بغضا[٢]، ونتيجة لذلك تعمقت مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي لديه مما جعله يتساءَل في حيرة واضطراب عما كانوا أصدقاءً أم ذئابا؟ فقال: **{من الكامل}**

أأرى ذئابا؟ أم صحـــابا؟ إنهم وجميعهم فى الخطب لم يتعطفُوا[٣]

إن مرارة شعور (الديب) بالاغتراب الاجتماعي الناجم عن اتساع فجوة الانفصال بينه وبين مدعي الصداقة الزائفة لم تقتصر على ما سبق فحسب، بل تعدت لإحداثهم فجوة بينه وبين أسرته من خلال وشاية بعضهم به لأبيه وأخيه، ومما يؤكد ذلك قوله: "وشى بي أقرب الناس من قلبي إلى أبي وأخي فكفا أيديهما عن عوني فكتبت ... فقلت : **{من الوافر}**

وقال ســـــفيهكم لأخــي حديثا سأذكره على مـــــر الســـنينِ

حديث خـــــــــرافة كذب هراء بذكري كنهـــــها يندي جبينِي[٤]

ونتيجة لتلك الوشاية كفت أسرة (الديب) عنه يد العون فاشتعلت بداخله نيران الشعور بالاغتراب الاجتماعي النابع من جفاء أسرته وقطيعتهم له، فإذا جاء العيد" توهم أن أهله قد وفدوا إليه فى العيد من (كمشيش) يحملون إليه الهدايا ويمسحون على جراحه فإذا هرع إلى الباب للقائهم وجد رياح الشتاء تعبث بباب حجرته ولكنه يكذب نفسه ويخدعها ارتقابا لما توهم من لقاء الأهل والأحباب فيفتح الباب مرة .. ومرة .. ومرة على أمل أن يعانق أخاه .. أو يحتضن أخته .. وفى كل مرة كان يعانق الوهم ويحتضن الوحشة وكواذب الآمال" [٥] وتتعمق مشاعر الاغتراب فى وجدانه ويشعر بمرارة الحزن النابع من مجافاة عشيرته له فيصرخ متسائلا فى حسرة قائلا: **{من الكامل}**

مَن زائري فى العيد؟ مَن بالبــاب؟ وَهْـــــمٌ فقدتُ به رشـــيد صوابِي[٦]

---

(١) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، ص ٤٧.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب ، ص ١٩٧ومابعدها.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب ، ص٢٠٩.

(٤) السابق نفسه، ص١٢٣.

(٥) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، ص ١٤٠ .

(٦) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٥٦.

وتشتعل نيران الشعور بالاغتراب في وجدانه من خلال اصطدامه بواقعه الأليم فقال: (وهم) وفي هذا دلالة على حياة التيه والضياع الملقية بظلمتها على مشاعره الاغترابية، بل ويصل لقمة شعوره بألم الاغتراب عندما قال: (فقدت به رشيد صوابي)، حيث أكد للمتلقي الأثر النفسي الذي يعانيه جراء هجر أسرته له وعدم زيارتهم لهم والذي تجسد فى فقده لصوابه وتشرده بائسًا حزينًا، وفي هذا برهان على مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي النابع من اتساع فجوة الانفصال بينه وبين أسرته.

ومن الجدير بالذكر أنه قد كان لزوجة (الديب) حضور غزير فى مقام شعوره بالاغتراب الاجتماعي الناتج عن تلك الفجوة والهوة الحادثة بين علاقاته الأسرية، وذلك لأن حبال الود المعقودة بين الرجل وزوجته عندما تقطع يتولد من خلالها إحساس عميق بالاغتراب"وفي ظل هذه الرؤية وأبعادها الاجتماعية تبرز مظاهر الاغتراب من خلال الخلافات الزوجية...إذ يُعد ذلك الخلاف والافتراق بين الزوج وزوجته نمطا من أنماط الاغتراب"[١] ونظرًا لحياة البؤس التى عاشها (الديب) فلم تمض شهور على زواجه "حتى برمت به زوجه إحسان...ورغبت فى الطلاق..."[٢] ولم يكن هذا فحسب، فلقد كُسِرت ذراعه وطوى أيام العلاج على سرير بمستشفى قصر العيني وشعر بالحزن لعدم زيارة زوجته له، وعبر عن هذا الشعور الاغترابي، فقال: **{من البسيط}**

كل المكاسير زارتهم أحبتهـــم ولم يزرني إلا طيف نجـــواكِ

أرى بهجرك جلادي ومقصلتـــي متى وأين إذن يا ليل ألقاكِ؟[٣]

وتتجلى مظاهر الشعور بالاغتراب الاجتماعي في هجر زوجته له وعدم زيارته حال كونه في (المستشفى) وقد كسرت ذراعة أثناء سعيه على كسب العيش. وتبدو براعته فى تعبيره عن ألم الاغتراب من خلال اتخاذه من القوالب الأدبية ما يحاكي فى قيمته الفنية التناقض والاضطراب النفسي الذي يعتري وجدانه، إذ طابق بين قوله: (زارتهم) الدال على عيادة المرضى من قِبل عشيرتهم، وبين قوله: (لم يزرني إلا طيف نجواك) الدال على هجر زوجته له وعدم زيارته له رغم مرضه مما يؤكد بغضها له ورغبتها فى الطلاق منه، وهذا بدوره يبرهن على مرارة شعوره النفسي بالحزن والأسى النابع من شعوره بالاغتراب الاجتماعي، ولم يكتف بذلك إذ أفصح عن شوقه إلى رؤياها مبينًا أثر هجرانها عليه وما انتابه جراءه من ألم وحزن، ونتيجة لذلك عانى شاعرنا من فجوة الانفصال بين العلاقات الاجتماعية والأسرية، إذ تبرم به قومه وأصدقاؤه فراح يعلن صرخته الاغترابية، فقال: **{من الكامل}**

---

(١) الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، ص ٣١ .

(٢) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، ص ١٦٥ .

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣٧٦.

أقسى عَلَيَّ من الخطوب تبـــرم بـــــي من قريب عاطف وصديقِ[1]

والمتأمل لهذا البيت يجد أن الشاعر قد اتخذ من تبرم الأهل والأصدقاء ونفورهم منه وإعراضهم عنه سبيلًا يُعبر من خلاله عن مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي المتجسد فى فجوة الانفصال بين العلاقات الاجتماعية والأسرية لديه، والتى يجب أن تتسم بالحميمية والترابط الوجداني غير أنها فى ميدانه قد اتخذت تيارًا معاديًا له، فعبر بلفظ القسوة فى صيغة أفعل التفضيل فقال: (أقسى) الذي يجسد للمتلقي جل معاني الشعور النفسي لديه بالحزن المقرون بمشاعر الألم الناتج عن تبرم الأهل والأصدقاء به، حيث جعل هذا النفور الأسري والاجتماعي أشد قسوة ووقعًا عليه من أثر النوائب والخطوب المحدقة به والمتراكمة عليه.

(د) ثُنائية الانخراط فى التجربتين اللاهية والصوفية:

لقد بدأ (الديب) رحلته الاغترابية عن المجتمع المحيط به بالانخراط في التجربة اللاهية التى اتخذ فيها من حياة اللهو والمجون سبيلًا له، فراح يدمن المخدرات كـ (الكوكايين) وشرب الخمور والمُسكرات، رغبة منه في الخلاص من مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي، وذلك من خلال الهروب إلى عالم اللاوعي الناتج عن تعاطي المخدرات والخمور وكل ما من شأنه التأثير على الأعصاب، ولا غرابة فى ذلك فـ "الاغتراب بما يتضمنه من شعور بالعجز والعزلة الاجتماعية واللامعنى واللامعيارية، أحد العوامل الأساسية المسئولة عن الإقدام على تعاطي المخدرات...حيث يمثل التعاطي رفضا للمجتمع وتمردا عليه، وشكلا من أشكال التكيف لشعور الفرد بالاغتراب"[2] وقد أقر ذلك (الديب) حيث راح يعلن تمرده وسخطه على طبيعة حياته البائسة متخذا من فلسفته الاغترابية سبيلًا يصل من خلاله إلى درجة الإقناع الفكري والعقلي لكل من يدعوه إلى ترك الخمور والمخدرات، حيث راح يبين أنها فيها الخلاص له من عالمه البائس إلى "عالم الرؤى والأوهام عله يجد الهدوء الذي ينشده أو يظفر بالسعادة التى يرجو... ولا يزال كذلك يسبح فى خيال دافيء ويهيم فى وهم رفاف حتى إذا ما ذهبت عنه النشوة وأخذ رشده يعود إليه تلمس الفردوس من حوله فلم يجد منه إلا خرائب متجهمة"[3]، فينطلق هائمًا يعاني ألم التشرد الممزوج بأنين البؤس والأسى، ونتيجة لذلك راح يلح فى طلب الخمر، فقال: **{من البسيط}**

هات المدام فدين الله تيســـــــير فأســعـــــد الناس مخمور ومخدورُ

---

(١) السابق نفسه، ص ١٠٠.

(٢) دراسات فى سيكولوجية الاغتراب، د/عبد اللطيف محمد خليف، ص ١٥٨، ط دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة– عام ٢٠٠٣م.

(٣) الشاعر البائس عبد الحميد الديب، ص ٤٢ .

هات المـــــدام ولا تعرض لمتربتي مهما غلا العيـــــش لم تغل القواريرُ

هات المدام الصبوح البكر يحملها إليك أخنس ســاجي الطرف مغرورُ(١)

والمتأمل فى فلسفة الديب الاغترابية النابعة من دعوته إلى شرب الخمر رغبة فى الخلاص مما يعانيه من بؤس وشقاء عبر رحيله إلى عالم الأوهام والخيال والرؤى التى يفر من خلالها عن واقعه المرير، يجد أنه راح يلح مكررًا في دعوته إلى شرب الخمر، مبينا أن تلك الخمر بخسة الأثمان إذا ما قورنت بغلاء العيش، وفي هذا رمز لما يعانيه من اغتراب نفسي داخل مجتمعه حيث شدة بؤسه وفاقته الممزوجة بالهم والحزن، لأن عجز الفرد عن التكافل الاجتماعي وتحقيق متطلباته الحياتية داخل المجتمع لبؤسه يعد غربة نفسية مريرة تصل إلى ذروتها إذا ما امتزجت بالحزن والشجن، ومن الجدير بالذكر أن تجربة الشاعر اللاهية لم تقتصر فحسب على شرب الخمر، بل تعدت إلى سخطه وتمرده على قضاء الله –عز وجل– ورزقه له فى تساؤل يحمل جل مشاعر اليأس الذي يصل إلى درجة القنوط من رحمة الله!!!، فقال: **{من السريع}**

يارب أين؟ أين رزق الســمـــــــاء؟ وأين أنت يا إلــه الجميـــــعْ؟

أليس فى إســـــــعاد عيشي رجاء؟ أليس فى عطف ربي شــفيعْ؟!(٢)

ومهما يكن فتجربة (الديب) الماجنة اللاهية لم تدم طويلا، لأنه سرعان ما صدف عنها منخرطًا فى تجربته الصوفية المتجسدة فى توبته وانصرافه عن شرب الخمر ورضائه بقضاء الله –عزوجل– وبرزقه سبحانه، ولا غرابة في ذلك فالانخراط في التجربة الدينية الصوفية لم يكن فحسب الوسيلة الفردية للتعبير عن الاغتراب الاجتماعي، ففي تراثنا العربي القديم وجدنا أن "الانخراط فى التجربة الدينية قد ظهر في شعر أبي العتاهية والصورة الاغترابية الاجتماعية نفسها ظهرت في تجربة أبي نواس لكن بشكل مخالف للتجربة الأولى حيث كانت الحانة هى الحالة الفردية التى خاضها الشاعر سلوكًا وتجربة شعرية، فالصوفية والإباحية هما وجهان لتجربة اغترابية اجتماعية"(٣)، لما فيهما من انفصال عن الواقع المرير والمجتمع البغيض إلى عالم الرؤى والأحلام وذلك فى حالة التجربة اللاهية وكذلك الانفصال إلى عالم الروحانيات والطهر فى حالة التجربة الصوفية. هذا وقد بدت معالم التجربة الصوفية لدى (الديب) في توبته إلى الله، وبيان أثرها في وجدانه وما انتابه من روحانيات إيمانية جعلته يرتقي بروحه إلى مكانة سامية، بل وبيان مدى تقبله لبواعث اغترابه فى ظل تلك النزعة الصوفية، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الرمل}**

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٤٢٤.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٥١.

(٣) الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي، ص ٢٠١ .

تبت من ذنبي ومـن ترجع به نفسه لله يبعثـــــــــــه نقيـا
توبـة من بعد أن فزت بهـا كل شيء صار فى عيني هنـيـا
فتراني فى السـمـوات العلا أصحت الشـمس وتعنو لي الثريا
ولدى سـدرتها فى مـوكب ما حوى إلا ملاكا أو نبـيـا
وعلى الأرض شـهابا لا مـعا من صـفاء القلب أو نور المحيـا
فتحـت أبواب أرزاقي بهـا فسـقاني خيـرها شـهدا وريا
ونأت عني همـومـي بعدما أصبـح القلب من الدنيا خليـا[1]

استفتح (الديب) أبياته بما يعبر عن نزعته الصوفية، فراح يعلن توبته إلى الله –عز وجل– ، ثم أخذ يرسم بريشته الصوفية السمو الروحي الذي انتابه حالة مناجاته لله –عز وجل– ، إذ بين أن روحه جعلت ترتقي وتسبح في فضائه سبحانه وملكوته العلوي بين النجوم والثريا، وبرفقة الأنبياء والملائكة، فقال: (فتراني فى السموات) وفي هذا دلالة على غلبة النزعة الصوفية على وجدانه، ولم يكن هذا فحسب فلقد رصد حاله سعيه بين الناس فبين أنه بدا راضيًا قانعًا برزقه، فانصرفت عنه الهموم والأحزان وبذلك فقد أخذ يبين كيفية استقباله لبواعث الاغتراب لديه إذ بَيَّن أنه أصبح على نحو يتناقض عما سبق حالة كونه مغموسًا فى تجربته الماجنة، وذلك عبر تصريحه بأن كل شيء فى نظره بات هينًا فصغرت فى نفسه الهموم والمحن ورضى برزقه فأصبح قلبه خاليا من الهموم والأحزان فقال: (وعلى الأرض)، إذ عبر عن سعيه بين الناس بقلب نقي طاهر، بصورة الشهاب بين ظلمات الليل، وتلك رمزية تؤكد شعوره بالغربة الاجتماعية من خلال تلك النزعة الصوفية، حيث شعوره بالتفرد بين الناس بالإخلاص فى الصلاح والتقوى والورع، ومن ذلك يتبين أن التجربة الصوفية لـ (الديب) لم تقف عند حدّ تعبيره عن توبته فحسب، بل بدت فى تناقضه مع ظنونه الخادعة التى كانت تقرها تجربته الإباحية، إذ كان يعتقد أن الليل أثناء تجربته الماجنة يمثل لديه موعد المعصية المتجسدة في شرب الخمر، ظنًا منه أنها تذهب عنه مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي وما إن انغمس وجدانيا في تجربته الصوفية إلا وبات الليل موطنا للطاعة والعبادة، فتبين له كذب ظنه بأن خمر الليل تذهب هموم دهره، فقال: **{من الطويل}**

وقد كنت إما أشرب الخمـر سادرا أثير إغاراتي بغير وطيـسِ
وأوقد من ماء الرحيق جهنمـا وأرجو سعودي من ظلام نحوسـي
وماذا وراء الخمـر إلا رواية تمثل أحزاني وشدة بوسـي
فأسرف إسراف الخليـع وأنتهـي إلى عقل مجنون ونوم حبيـسِ

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٤٠.

فلا الليل أشجاني بسكري ونشوتـي ولا الصبح فى ضوء به وشموسِ[١]

هذا وما إن تعمق الشعور بالاغتراب الاجتماعي لديه إلا وانغمس في تجربته الصوفية، فانصرف عن حياة اللهو والمجون وما بها من فسق وفحش، مستبدلا معالمها بحياة التعبد لله –عزوجل– ومعالمها الطاهرة النقية وما فيها صلاة وتعبد وتسبيح وتقوى وورع، فقال: **{من الرمل}**

رنة التكبير فى ســمـــــعي محت رنة الكأس وأودت بالحميـــــا

والمصلون لدى تســـــبيـــــحهم صيروا الندمان فى عيني نسيا

مظهر التســبيح والتقوى بهـــــم قد سقاني الكأس إيمانا سريا[٢]

والمتأمل لهذه الأبيات يجده قد صدف عن حياة اللهو منصرفًا إلى حياة الطاعة فاستبدل بمظاهر المجون مظاهرَ الطهر والعبادة، حيث استعاض عن رنة الكأس بصوت الأذان الندي العذب، كما استبدل مشهد الندماء بمشهد المصلين المسبحين فسما بمشاعره الصوفية إلى عالم الطهر والنقاء فذاق حلاوة الإيمان عبر شربه من كأس التسبيح والتقوى، وبذلك فقد برع في نظمه ذلك عندما أفصح عن الأثر النفسي الذى يعتريه عند سماعه صوت الأذان فقال: (رنة التكبير...محت...وأودت ...) الدال على صدق تجربته الصوفية النابعة من إقلاعه الصادق عن شرب الخمر، حيث نسيانه لصوت كؤوسها ومذاقها واستعاضته عنها بسماع صوت الأذان الندي، أضف إلى ذلك استرساله في الإفصاح عن الأثر النفسي الذي يعتريه حال صلاته، حيث استعانته بحاسة البصر، فراح يبين أثر رؤيته للمصلين والمسبحين، فقال: (والمصلون ...صيروا الندمان عندي نسيا) الدال على نسيانه مشهد ندمائه حال شربهم للخمر وفى هذا تأكيد على صدق توبته، ولم يكن هذا فحسب فينتقل الديب إلى حاسة (التذوق) حال صلاته مبينًا أثر رؤيته للمسبحين فقال:(مظهر التسبيح...سقاني) الدال على مدى استمتاعه برؤيته للمسبحين مما يعكس نزعته الصوفية التى تعبر عن اغترابه الاجتماعي، وبالتحليل النفسي لتلك المشاعر المتناقضة لدى (الديب) نجد أن ثنائية التجربة وازدواجية الأحاسيس لديه تعبر عن الشخصية الفصامية القابعة فى العالم اللاشعوري أو اللاوعي لديه وهو ما يسمى بالشيزوفرينيا، ومهما يكن فالشعور بالثنائية والازدواجية الشعورية لديه لم يبد مقصورا فحسب على ثنائية انخراطه في التجربتين اللاهية والصوفية، بل تعدى إلى ثنائية المدح والهجاء للفرد الواحد[٣] أو للحزب الواحد[٤] فى مجتمعه مما

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب : ص ٢٤٨.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٣٨.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص١٨٧ وما بعدها، ١٩٢ وما بعدها.

(٤) السابق نفسه، ص ٣١٣ وما بعدها.

كان له أثر كبير فى فساد علاقاته الاجتماعية، وفى هذا تأكيد لما يعانيه من انفصام فى الشخصية (الشيزوفرينيا)، لأن اضطراب الشخصية الفصامية يشير إلى "صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع ... فالشيزوفرينا إذن هى أم الاغتراب"[١] ومما يؤكد ذلك –بالإضافة لما سبق– مدحه[٢] لصديقيه (مصطفى كامل الشناوي، وأحمد الصاوي) ثم هجائه[٣] لهما تارة أخرى عندما أعرضا عنه ولم يجودا عليه بالمال!

(١) دراسات فى سيكولوجية الاغتراب، ص ٨٢.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٠٧.

(٣) السابق نفسه، ص ٢١٦.

المبحث الثاني: الاغتراب النفسي:

الاغتراب النفسي تجربة إنسانية منبعها الذات البشرية التي آلمها الشعور الوجداني بالاغتراب الاجتماعي وفي هذا دلالة على أن الاغتراب النفسي ينبثق في الذات البشرية ولكنه ينبع من تأثرها بما في المجتمع المحيط بها من أحداث، وثقافات، وعادات وتقاليد تشعر تجاهه بالاغتراب، ومما يؤكد ذلك أن"الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التى تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التى تتم داخل المجتمع...حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة"(١)، نتيجة لما تعانيه من ظلم اجتماعي، ومهما يكن فلقد بدت مظاهر الاغتراب النفسي فى شعر (الديب) على النحو التالي:

(أ) الاعتداد بالذات والزهو بالنفس:

إن اعتداد (الديب) بذاته وزهوه بنفسه–استنادًا لما سبق– بات نابعًا من الشعور الوجداني لديه بالاغتراب الاجتماعي الذي قد يتجسد تارة فى شعوره بالنبذ والتهميش من المجتمع، الذى كان له أثر كبير في تعميق مرارة الشعور بالاغتراب النفسي لديه، مما يؤكد أن وراء اعتداده بنفسه وزهوه بها أسرارًا تنطوي عليها ذاته، وبالوقوف على حياة الشاعر البائسة نجده قد عانى أشد المعاناة من نبذ وتهميش المجتمع له رغم ما يتمتع به من موهبة شعرية وأدبية، ومن المشاهد المعبرة عن معاناته أنه "عندما خلع بعض النقاد وعلى رأسهم طه حسين على العقاد (١٨٩٨-١٩٦٤) إمارة الشعر فى ٢٧ إبريل ١٩٣٤ في حفل حاشد بعد وفاة أمير الشعراء أحمد شوقى، أغضب ذلك بعض الأدباء منهم...عبد الحميد الديب..."(٢) فتعمق لديه الشعور بالاغتراب النفسي، ولا غرابة فى ذلك فـ" قد يجد الاغتراب الذاتي مناخًا ملائمًا للنمو حين يستبد القهر والإذلال ولا سيما عندما يسود التفاوت أو تسود اللامساواة في المجتمع وشعور الإنسان بتميزه عمن سواه"(٣) دون أن ينل حق هذا التميز، ونتيجة لذلك قال الديب: **{من المتقارب}**

طلعت مع الشمس من مشرق وعشت الزعيم فلم أســـبقِ
أنا ملك عبقري الجـــــــلال وإن صـدف التاج عن مفرقي
فمالي تجافى بحظي السمـــاء كأني يارب لـــــــم أخلقِ(٤)

---

(١) دراسات فى سيكولوجية الاغتراب، ص ٨١.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٠٤.

(٣) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية) ، ص ١٢٦ .

(٤) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٠٤.

والمتأمل لهذه الأبيات يجد أن (الديب) رحل إلى عالمه الشعري ملتجئا إليه عله يجد فيه الخلاص من مرارة الشعور بالاغتراب الناجم عن ظلم المجتمع له، المتجسد في عدم إعطائه حق تميزه وتفرده، فاستفتح أبياته بما يعبر عن سمو مكانته الأدبية وعلو شأن موهبته الشعرية، فقال:(طلعت مع الشمس من مشرق) وتبدو براعة الشاعر في تقييد طلوعه مع الشمس بوقت الشروق، فدل ذلك على تفرده عما سواه من الشعراء بموهبته الشعرية التي أشرقت في سماء الشعر تقشع ظلمة ليلها الدامس وتنير الدرب لمعاصريه من الشعراء، ونتيجة لذلك راح يؤكد على حقيقة تفرده بالشاعرية التى لا تضاهيها شاعرية أخرى، فقال: (وعشت الزعيم فلم أسبق) الدال على ريادته الشعرية، وتقلده زعامة الشعر، وتفوقه عما عداه من الشعراء المعاصرين له فصاحة وبيانا.

ويتعمق الشعور بالاغتراب النفسي لديه فيصرخ متخذًا من ضمير الأنا سبيلا للإفصاح عن مرارة شعوره بالحزن الناجم عن تلك المشاعر الاغترابية الأليمة فقال: (أنا ملك...وإن صدف التاج عن مفرقي) معلنًا اعتداده النفسي بذاته وزهوه بشاعريته وموهبته، رغم نبذ المجتمع له وتجاهل شاعريته، ولكن سرعان ما ينكسر متسائلًا في حسرة عن شؤم حظه فقال: (فمالي...) وفي هذا دلالة على مرارة شعوره بالاغتراب النفسي.

ويصل (الديب) إلى قمة الشعور بالاغتراب النفسي جراء ظلم وتجاهل المجتمع لموهبته الأدبية؛ فينتقل إلى مظاهر الطبيعة وما تحمله من رموز شأنها أن ترضى زهوه النفسي بذاته، فنراه يدعو مجتمعه أن يتذكره حال استماع أفراده بلحن شجي نابع عن تغريد لعصفور أو مغن، وكذلك تذكره عند سماع نظم بديع لقصيدة تضمنت جل معالم الفصاحة والبيان، إذ قال: **{من مجزوء الرمل}**

اســـــمعوا إن تجهلوني كل طيـر فوق غصن
أو قصيـــــــد عبقري أو هتـــوف أو مغن
أســـــمعوني كل لحــن وانظروني كل حســن
واضح في كل عيـــــش خـــــوف تأويل وظن
وأنا أحيـــــــــا خفـيـا شبه أطياف وحسـن[1]

وتبدو براعته في اختياراته الدقيقة من مظاهر الطبيعة المحيطة به لما يحاكيه في اغترابه النفسي ومشاعره الوجدانية، فصورة العصفور المغرد بصوت عذب فوق غصن وما تحمله تلك الصورة من دلالة رمزية على الشعور النفسي لدى (الديب) بالوحدة والانعزال، بل وما في فيها من دلالة على عذوبة نظمه الشعري المحاكي في عذوبته تغريد العصفور، أضف إلى ذلك صورة القصيدة الفصيحة العبقرية التى حاكت في براعة نظمها وطرافة معانيها عبقريته وحسن بيانه.

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٤٩.

ومن الجدير بالذكر أن صورة اللحن العذب قد نالت من خياله نيلًا عظيمًا فعاود الرجوع لها، ولكن جعلها تتجلى تارة في صورة اللحن الشجي الصادر عن الحمام (الهتوف) صاحب الأصوات الشجية الذى لطالما كان رمزًا للحزن، وتارة فى صورة الألحان على وجه العموم والشمول، وبذلك جمع في ألحانه بين اللحن العذب الذى كان فى صورة العصفور المغرد، وبين اللحن الشجي الذي يعكس همومه وأحزانه، هذا وينكسر وجدانيًا أمام محاولاته المضنية في اعتداده بنفسه وذلك عندما ينظر لواقعه المرير، فيصطدم بحياة البؤس التى يحياها فيقول: (واضح...أحيا خفيا) الدال على الاضطراب الشعوري والنفسي المغلف بحالة من الحزن والأسى التى بدورها تعبر عن مرارة شعوره بالاغتراب النفسي، ولا يعد ذلك الشعور من النرجسية فى شيء؛ لأن الشاعر و"الفنان ليس نرجسيًا بالمعنى المألوف أو بالمعنى العادي للكلمة وذلك لأنه لا يغرم بذاته ولا يصنع من نفسه بطلا.... إن نرجسية الفنان مُحورة أو مَنقولة أو لنقل إنها نرجسية ملغاة يعوض عنها العمل الفني بنرجسية أرحب"(١) يقتبسها من شخصية من يحاكيهم من الشعراء الأفذاذ ليصل بالمتلقي إلى درجة اليقين بأنه أمام فحل من فحول الشعر العربي القديم، إذ يحاكيهم نظمًا وزهوًا بالنفس واعتزازًا بكرامته، مما يترتب عليه التنفيس الوجداني لما يعانيه من مرارة شعور بالاغتراب النفسي، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الوافر}**

أنا عبد الحميـــــد أنا المنادَى أديبا شـــــــاعرا أفتنكروني؟

أنا (ابن جـــــلا) وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني(٢)

استفتح (الديب) بيتيه بضمير الأنا الذي يعبر عن انفعاله الوجداني النابع من تعمق شعوره بالاغتراب النفسي، جراء تهميش المجتمع لموهبته الشعرية، ونتيجة لذلك راح يصرخ مفصحًا ومعلنًا عن موهبته الأدبية والشعرية فقال: (أنا...أديبًا شاعرًا أفتنكروني؟)، حيث بدأ قوله بالتقرير والتأكيد على موهبته ونبوغه الأدبي والشعري، فبدا وكأنه يمسك بتلابيب خصم يعارضه ويلح عليه بالطلب والتأكيد، ثم تبع ذلك بالاستفهام الذي يحمل معنى الإنكار والتعجب مما عليه المجتمع المحيط به من إنكار لنبوغه الأدبي، فجسد ذلك مرارة الشعور النفسي له بالاغتراب، ونتيجة لذلك ازداد انفعاله النفسي، فراح يستلهم من التراث الشعري ما يؤكد على شاعريته فأتى ببيت (سُحيم بن وَثِيل الرّياحي)(٣)، وفى هذا دلالة على محاكاة موهبته الشعرية للنبوغ الشعري الذي عليه فحول الشعر

---

(١) التفسير النفسي للأدب، ص ٢٨.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٢٣ .

(٣) هو "سُحيم بن وثِيل الرّياحي، شريف مشهور الأمر فى الجاهلية والإسلام جيد الموضع فى قومه شاعر خنذيذ..." طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت/محمود محمد شاكر، ٥٧٦/٢، ط دار المدني-جدة-(د.ت)، الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت/أحمد محمد شاكر،٦٢٩/٢، ط دار الحديث-القاهرة- الطبعة عام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

العربي القديم، ومما يؤكد ذلك أن" فخره بعبقريته وموهبته وتفرده، بمثابة تعويض نفسي وهمي ينفس به شاعر الحرافيش عن بؤسه الواقعي بنعيم خيالي موهوم!" [١] ولا غرابة في ذلك، إذ "إن الاستمتاع بعملية الإبداع فى حد ذاته يعد مهربًا وملجأ للشاعر يخلصه من وطأة الظروف المحيطة به فهو في أوج اغترابه في محيطه يبلغ ذروة إبداعه، إنه يدرك تماما قيمة الجهد الذي يقدمه حين يلتفت الناس حوله ويحاولون فهم مرامي ما أبدعه....وفي أثناء ذلك كله يحس بنشوة الانتصار على الواقع وعلى المحيطين به....وقد فجرت كلماته صراعًا بين الناس"[٢] من خلال الاعتداد بشاعريته وموهبته ونبوغه الأدبي تارة أو التصريح بتفرده عما عداه تارة أخرى. ومن الجدير بالذكر أن اعتداد (الديب) بذاته لم يكن نتيجة لما يعانيه فى مجتمعه من تهميش ونبذ فحسب، بل بدا – بالإضافى إلى ذلك– نابعا من شعوره المرير بتهاوي القيم والأخلاق فى المجتمع المحيط به وفساده، ونتيجة لذلك راح يعبر عن تفرده بطيب الخلال والخصال النبيلة، فقال: **{من الطويل}**

كأنــي بالأخلاق صارت دسيسة يلقنهــا العاني ليكســر خاطرُه [٣]

وقد برع الشاعر عندما وصف تفرده بالأخلاق الكريمة ونبيل الأفعال بقوله: (كأني بالأخلاق صارت دسيسة)؛ إذ عكس ذلك مرارة شعوره الوجداني بالاغتراب النفسي، حيث شعوره بالوحدة الممزوجة بالوحشة، إذ عاش فى مجتمع عاداه وأبغضه لطيب خلاله، ونتيجة لشعوره النفسي بالاغتراب عن المجتمع المحيط به وصل فى زهوه بذاته إلى تصويرها بأنه يبدو المنقذ لهذا المجتمع من الهلاك، فتارة يبين أنه سفينة نبى الله نوح –عليه السلام– التى أرسلت للعالمين فى عصرهم هذا لإنقاذهم من الغرق فى ظلمات الضلال[٤]، ولم يكن هذا فحسب فلقد راح يسترسل في إحساسة بالتفرد عما عداه من أبناء المجتمع المحيط به، فزها بذاته مبينًا أنه في هذا المجتمع الفاسد يحاكي نبي الله يوسف –عليه السلام– حال وجوده فى السجن مع السجناء الذين قبح مشهدهم وفسدت أعمالهم وأخلاقهم وكثرت ذنوبهم[٥]، وتارة أخرى تجده يبين أنه يحاكي شخصية نبي الله هود –عليه السلام– بين قومه الكافرين[٦]، وفي هذا تجسيد صريح لتعمق شعوره النفسي بالاغتراب.

---

(١) مأساة شاعر الحرافيش عبد الحميد الديب، محمد رضوان، ص ٨٢، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٧م.

(٢) الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي، ص ٥٣ .

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٢٤ .

(٤) السابق نفسه، ص ١١٢ .

(٥) السابق نفسه، ص ١٣٤ .

(٦) السابق نفسه، ص٣٦١.

(ب) اليأس والخضوع والعجز:

تعد مشاعر اليأس الممزوج بالعجز من أبرز المظاهر الاغترابية المعبرة عن الاغتراب النفسي لدى (الديب)، وذلك لما عاناه من شعور مرير بالبؤس والفاقة ومما يؤكد ذلك، "أن الديب يمثل تيار الشعر الهروبي فرارًا من مأساة الفقر إلى عالم اليأس...، حيث تضخمت لديه مأساة الفقر، وحولت شعره إلى مسار اغترابي هروبي...وازداد إحساسه بالعزلة الروحية فى المجتمع"(١) فراح يميل إلى السجن فرارًا من التشرد فى دروب القاهرة، إذ "وجد فى سجنه غذاء وكساء كانا قد عز عليه وهو فى عالم الحرية وكل ما جد من أمره أنه باع حرية التشرد بقيد الاستقرار...ولهذا وحده نراه مطمئنًا إلى سجنه راضيًا عنه غير متبرم به أو ساخط عليه، لأنه قد وجد فيه الملجأ بعد تطواف ، والهدوء بعد طول قلق واضطراب"(٢) ومن ذلك يتبين أن حياة البؤس قد قادته إلى مشاعر اغترابية نفسية أعمق وأشد مرارة، ألا وهى غربة الشعور باليأس الممزوج بالخضوع والعجز حتى عزم على قتل أسرته ، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الكامل}**

في كل يوم لي حـــروب معيشـــة عيش الكفاف بها نهايــة مغنمي
والجوع أيسر ما تعاني أســـرتي وكأننا من غيـــــــر بطن أو فمِ
هزلت جسوم بنيتي وشـــقيـــقها وحليـــــــــــلتي وأنا فلم نتألمِ
فلقد مرنا فى الحياة على الأســى ســـــــــيان كنا فى هنا أو مأتمِ
كم مرة قررت قتلة أســـــــــرتي وأدا فأرجعني يقين المســـــــلمِ(٣)

إن المتأمل لتلك الأبيات يجد أنها قد سيطرت عليها مشاعر الاغتراب النفسي التى تنامت حتى وصلت إلى قمة اليأس، إذ باح البيت الأول بإحساس (الديب) بالعجز فى توفيره حد الكفاف من العيش له ولأسرته الجوعى، رغم مصارعته اليومية للتغلب على البؤس فى الحصول على القليل من الرزق، ثم أعقب هذا الشعور الاغترابي بالتعبير عن الخضوع والاستسلام الناجم عن العجز والإخفاق فى تحقيق حد الكفاف من العيش، إذ اعتادت أسرته الجوع حتى ظن أن أبناءه قد خلقوا بلا بطن أو فم! وقد أفصحت عن ذلك الأبيات (الثاني والثالث والرابع)، ثم وصل إلى قمة الشعور النفسي بالاغتراب عندما عبر فى البيت الأخير يأسه عازمًا على قتل أسرته الجائعة عله يجد في ذلك الخلاص من مرارة ذلك الشعور الاغترابي، غير أنه سرعان ما يصده عن ذلك إسلامه.إن مأساة البؤس التى عانى منها (الديب) أشد المعاناة عمقت لديه الشعور النفسي بالاغتراب، فأصابته

(١) مأساة شاعر الحرافيش عبد الحميد الديب: ص٨٢.
(٢) السابق نفسه، ص ٥١ .
(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٩٦ وما بعدها.

باليأس الذي لم يتجسد فحسب في مشاعر الخضوع والاستسلام التى راح يبوح بها، بل تعدت إلى إعلانه لموته، وانقضاء أجله، وانطواء أحلامه، وبينونة رجائه، وانطفاء نور حياته فى صرخات اغترابية ملأها اليأس، وما أشدها من غربة تلك التى تولد فى وجدان الإنسان حالة من اليأس تصل إلى القنوط حيث" تبدأ أحلامه بالتحطم على أرض الواقع، وتبدأ رحلة اغترابه...فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقة، أو عن طبيعته الجوهرية وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الإنسان"(١)، ومما يجسد تلك المشاعر الاغترابية قوله:

{من مجزوء الرمل}

انقضت أيامـــي...آهْ

وانطوت أحلامي...آهْ

بان عن قلبي رجـــاهْ

وانطفا نور الحيـــــاهْ

أي شـــــكوى بعد آهْ(٢)

ويسترسل (الديب) في الإفصاح عن معالم اليأس التى أصابته، فيعلن توديعه الحياة في ريعان الشباب مقبلًا على الآخرة وما فيها من حساب، فقال: **{من الطويل}**

وداعًا شبابي فى ربيع شـــبابي وأهلًا حسابي قبل يوم حسابي

وما يبتغى من عاش غير موفق ثلاثين عاما فى أســى وعذابِ

بنى فوق دار الشمس دارة مجده فســـــــاكنه فيها نذير خرابِ(٣)

والمتأمل لتلك الأبيات يجد أن (الديب) قد طابق فى البيت الأول بين (وداعًا) الدال على مفارقة ريعان الشباب، وبين (أهلًا) الدال على الإقبال على الموت وما يعقبه من حساب له فى الآخرة، وتبدو القيمة الفنية لهذا الطباق في تجسيده في ذهن المتلقي مشاعر الاضطراب والحيرة الملقية بظلامها على وجدان الشاعر، حيث التنافر والتضاد بين ما كان يأمله من ظفر بنعيم الحياة وبلوغ للمجد وامتطاء لجواد العلا فيها، وبين ما عليه واقعه المعيش من إخفاق وعجز عن تحقيق آماله، وقد انتقل إلى مشهد آخر من مشاهد الإخفاق في حياته عندما بين في البيتين التاليين أنه عاش طيلة عمره الذي بلغ الثلاثين عامًا يعاني من عذاب الأسى والإخفاق والعجز، بل وسوء الحظ، فلقد

---

(١) مجلة الموقف الأدبي، (الاغتراب فى أدب زكريا تامر ، غسان السيد) اتحاد الكتاب العرب – سوريا – المجلد ٣٠ ، العدد ٣٥٢ (٣١ أغسطس /آب ٢٠٠٠) ص٤٣ .

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١١٥ .

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٠٦.

بنى دارة مجده فوق الشمس فسكنها نذير الخراب، وتلك صورة رائعة جسدت مرارة الشعور النفسي لديه بالإخفاق والعجز عن تحقيق كل ما يطمح إليه، وكأنه بذلك يبرهن على غربته النفسية المتجسدة في فقد الأمل والعجز والإخفاق في تحقيق ما يتمناه.

ويزداد انفعال الديب فيتعمق لديه الشعور بالاغتراب النفسي في هذا المقام (اليأس)، فيتمنى الموت نظرًا لما يعانيه من بؤس وفاقة، فقال: – مناجيا المولى –عز وجل– **{من السريع}**

خُذني إذا ما المال أمســـى عسيرا فالمـــوت خير من حياة الفقيرِ

الشاعر الموهوب يحيـــــا فقيرا وما له فى شـــــعبه من نصيرِ[١]

وهذا بدوره يبرهن على شدة وطأة محنة البؤس على وجدان (الديب)، ونتيجة لذلك فلقد كان لتلك المحنة حضور بارز فى المدونة الاغترابية لديه، فلطالما أفصح عن العديد من مظاهرها التى قد تجسدت فى معاناته في عدم قدرته على سداد كراء منزله[٢]، وعوائه الدائم جوعا[٣]، وثيابه البالية[٤]، حتى ظن أن أمه خلفت له البؤس توأم[٥]!

(ج) الحزن والأسى:

إن مشاعر الحزن والأسى من شأنها أن تعمق الشعور بالاغتراب النفسي لدى الشاعر، لأنها تأخذه إلى غربة نفسية عميقه، ولا غرابة فى ذلك فغربة الأحزان والهموم والأشجان من أشد أنواع الشعور الاغترابي مرارة على النفس البشرية المعذبة بأنين الاغتراب، لأن" الغريب الذي اكتنفته الأحزان وتحكمت فيه الأيام من كل جانب واشتملت عليه الأشجان...فوصف يحفى دونه القلم ويفنى من ورائه القرطاس ويشل عن تحبيره اللفظ لأنه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر ولا رسم له فيشتهر...هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه" [٦] ونتيجة لذلك تنامى شعوره الاغترابي جراء تردد أنفاسه المنبعثة من وجدانه النفسي المحمل بزفرات الأنين وآهات الأشجان الملتاعة حتى ألف البكاء ولياليه البائسة، إذ كان "يحن إلى الدموع ، ويستريح إلى الأسى...لأنه ما كان يألف من الليالي إلا جانبها العابس المتجهم "[٧] نظرًا لكثرة همومه وأشجانه

---

(١) السابق نفسه : ص ٤٥٢.

(٢) السابق نفسه: ص٢٢٨ ومابعدها.

(٣) السابق نفسه، ص ٩٥ .

(٤) السابق نفسه، ص ٩٣ .

(٥) السابق نفسه، ص١٩٦.

(٦) الإشارات الإلهية : ص ٨٢ وما بعدها .

(٧) الشاعر البائس عبد الحميد الديب : ص ٥٥ .

التى عمقت فى وجدانه مشاعر الاغتراب النفسي، إذ راح يفصح عن دوافع تلك الأحزان مبينًا أنها تأتي تارة فى صورة النوائب التى باتت تختصه فحسب دون الورى فقال: **{من البسيط}**

أرى الحوادث آســـــادًا مقذفة علي دون الورى تعدو وتقتــتلُ

فكم تصوح عودي بعد نضرته وكم خبا فى دياجي عمري الأملُ (١)

وتبدو معالم الاغتراب النفسي في الشعور النفسي لديه بأن نوائب الدهر وصروفه باتت مقصورة عليه فحسب دون غيره من الورى، وقد برع عندما جعلها تبدو في صورة الأسد المتوثبة تجاهه وقد أنشبت أظفارها تأهبًا لقتله والفتك، فجسد ذلك مشاعر الخوف الممزوج بالفزع والوحشة، ونتيجة لذلك ارتفع صراخه وعواؤه الاغترابي حينما صرح في البيت الثاني عبر الأسلوب الخبري عن أثر تلك الأحداث والنوائب المحدقة به، مبينًا أنها قد نالت منه فأردته قتيلًا بعد أن أحالته من نضرة الشباب إلى صفرة المرض والوهن، وهذا من شأنه أن يبرهن على شدة حزنه الممزوج بمشاعر الخوف والوحشة.

ومن الجدير بالذكر أن محنة فَقْد الأهل من أبرز النوائب التى من شأنها بث روح الأسى والحزن فى وجدان الإنسان والرحيل به فى رحلة اغترابية مريرة، لأن "فقد الأحبة...غربة"(٢) يتولد من خلالها "حزن عميق في نفس الإنسان قد نلتمس فيه بُعدًا اغترابيًا من خلال رثاء الشاعر وهو يبث خلجات نفسه...مما يولد بداخله الإحساس بالوحشة والوحدة...ويتجسد هذا الشعور في الغالب عند فقد الأب رمز الأمان والسقف الذي يحتمي به الأبناء فيكون لهاجس الوحدة والوحشة والضياع حضور فاعل داخل النفس يشعرها بغربتها"(٣) ونتيجة لذلك قد تجرع (الديب) مرارة الشعور النفسي بالاغتراب النابع من فقده لبعض من إخوته، فقال:**{من الطويل}**

سريت فمضيت الســرى في مسرة وبرح بي شـــــــوق إلى رؤية الكلِّ

فلم أر فيهم غير أخـــــت حزينـة براها الضنى من غمرة البؤس والثكلِ

عميتُ من البلوى فلم أدر ذاهـــلًا أخي من ثوى بين المقابر أو نجلي ؟(٤)

والمتأمل لتلك الأبيات يجد أن الشاعر قد افتتحها بمشاعر الشوق الممزوج بالسرور والسعادة المغلفة بالأمل، حيث اشتعال نيران الشوق في وجدانه ليلًا، فعزم على الرحيل لرؤية أهله، فقال:

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٩٤ .

(٢) أدب الغرباء، لأبي الفرج الأصبهاني ، ت. د/صلاح الدين المنجد ، ص٣٢ ، ط دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى، عام ١٩٧٢م .

(٣) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن الرابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص ١٥٣.

(٤) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٢٧ وما بعدها .

(سريت فمضيت في مسرة) عاطفًا بين السير والمضي بحرف العطف (الفاء) التي تعكس سرعة امتثاله لأشواقه ورحيله إلى عشيرته، أضف إلى ذلك إفصاحه عن المشاعر التي عليها وجدان أخته حال رؤيته لها، فقال: (أخت حزينة براها...البؤس والثكل) وفى هذا دلالة على شدة حزنها النابعة مما عانته من بؤس وثكل قد اعتراها نتيجة فقدها لإخوتها، إذ أفضت بها تلك الأحزان إلى غربة نفسية نتيجة لكثرة بكائها وفرط معاناتها مع حسرة الفقد وذل البؤس، ولم يكن هذا فحسب فلقد انتقل من تصويره للمشاعر النفسية التى عليها وجدان أخته إلى التعبير عن مشاعره الوجدانية حالة رؤيته لها وقد بدت تعاني الثكل والبؤس، وذلك من خلال بيته الثالث، الذي جسد للمتلقي شدة حزنه وعظم هول مصابه الذي أفقده البصر والإدراك العقلي فلم يدر مَن فقد من عشيرته أأخاه أم ابنه؟!. ويسترسل (الديب) تارة أخرى في تعبيره عن مشاعر الحزن المعبر عن غربته النفسية والنابع من فقده لوالديه، فقال: **{من الكامل}**

الوالدان هلكت بعدهمـــا من لي على رد الأسى بهما
أســـتوحش الدنيا كراهية مذ ذقت كأسي من فراقهـما
من موقظ أمي لأســمعها قلبا يذوب لموتها ألمـــا؟
وأبثها لهفي لرؤيتــهـــا وتحرقي أن أبلغ العـدمـــا
فأعيد أفراحي بحضــرتها وتدللي فى البيت محـتــرما
أمي إذا أصبــحــت نافلة لم تلفني إلا فتــى علمـــا
وإذا لحــاني الناس كلهم أضفت عَلَيَّ حنانـــها كرمـا
وإذا افتقرت وجدت رحمتها قد أمطرتني اليسـر والنعما
وأبي...ومن يحييه لي لأرى وجها كنور الشمس مبتسما؟
وأرى برؤية وجهه لهفـــي وأطلع الدنيا به قدمـــــا
ما شمته يوما تجهـــم لي مهما تجلى الخطب أو عظما
آه وهل ألقاهمـــــا يقظا؟ أو نائما ألقاهما حلمـــــا؟[1]

وتضح مظاهر الشعور بالاغتراب النفسي في هذه الأبيات من خلال أربع صرخات اغترابية أتت على النحو التالي : الأولى: تبدو في تصريحه بحالة الوحشة التى ألقت بظلالها على وجدانه تجاه الدنيا، وما يعتري هذا الشعور من كراهية وبغض يجعله يشعر بالوحدة جراء فقده لوالديه، والثانية: تبدو في إفصاحه عن حالة الحزن الشديد التى أصابت فؤاده حتى أخذ يذوب حزنًا على موت والدته، إذ أخذ يتساءل في حيرة وحسرة عمن يعيد أمه للحياة تارة أخري، فيسعد بلقائها وتتبدل

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٠٤ وما بعدها .

أحزانه وآلامه إلى أفراح وسعادة عله يخرج من ظلمات الشعور بالاغتراب النفسي الناجم عن الحزن، والثالثة: فتبدو في بيانه لفضل أمه هذا الفضل الذى شكل للقاريء منزلة والدة (الديب) في دفعها مشاعر الاغتراب عنه والتى ألمت به نتيجة لموتها وفراقها له، حيث بين أنها كانت تراه فتى نابغًا، وتبث فيه روح الأمل والتفاؤل والحث على خوض غمار الحياة، وإثبات ذاته فكريًا وثقافيًا عبر تمسكه بسبل العلم ودروبه، كما أنها كانت ملجأ له، فلا يشعر بنبذ الناس ولا تهميشهم له عندما يكون في كنفها وفي معيتها، وذلك لأنها تمطره الحنان والجود اللذين يمنعانه ذل الافتقار إلى الناس، والرابعة: فتتجسد في بيانه لفضل والده، هذا الفضل الذي من شأنه أن يدفع عنه مشاعر الاغتراب، إذ كان ملجأ له يلقاه دائمًا مبتسمًا ويشعره بالود الذي من شأنه أن ينمي لديه الشعور بالانتماء، ونتيجة لذلك ففي موت والده نماء لشعور اغترابي يبدو في الشعور بالنبذ والإقصاء والبغض البادي فى تجهم الناس له ومكرهم به، ولم يكن هذا فحسب فيصل شاعرنا إلى قمة الانفعال والشعور الاغترابي عندما يتألم في حسرة على فراق والديه فيقول: (آه وهل...)، حيث قرن بين مشاعر الحسرة البادية في توجعه، وبين مشاعر الحيرة والتردد والإطراب المتبوع بالانكسار الوجداني، وقد بدت تلك المشاعر في الاستفهام الذي يجسد إرادة الخلاص من هذا الحس الاغترابي الناجم عن فقده لوالديه، إلا أنه لم يفلح في الخلاص منه فلقد مات والداه ولا أمل في رؤيته لهم يقظانا، إنما تبقى رؤيتهم في طي الحلم الذي لن يتحقق، ومهما يكن فنتيجة لفقده لوالديه راح يشعر بمرارة الإحساس بالاغتراب النفسي فعانى الحزن والأسى. ولم يكن هذا فحسب، فمشاعر الحزن والأسى النابعة من معاناة (الديب) فقد الأحباب لم تقتصر على الأهل، بل تعدت إلى فقد الأصدقاء ففاضت دموعه حزنًا على فراقهم[١] ووداعهم[٢].

(١) السابق نفسه، ص ١٩٦ وما بعدها .

(٢) السابق نفسه، ص ٢٤٥ .

المبحث الثالث: الاغتراب المكاني:

يشكل الاغتراب المكاني حضورًا بارزًا في المدونة الشعرية لـ (عبد الحميد الديب)، إذ أخذ الشاعر يبث نفثاته الاغترابية من خلال العديد من المشاهد المعبرة عن تعمق الشعور بالاغتراب المكاني لديه، كالتعبير عن الشعور بالوحشة المكانية التى انتابته جراء ما أصبحت عليه ربوع (مصر) من بؤس بات نابعا من نهب المستعمر الغاشم لثرواتها وخيراتها، ولا غرابة فى ذلك فللمكان دور بارز في التأثير على العملية الإبداعية للشاعر، وقوة روحية على وجدانه، بل ويأخذ منحى إنسانيا لديه إذا تعلق وجده به تعلقًا يجعله يهيم به وجدًا وعشقًا مما يترتب عليه إثارة الوحشة في نفسه إذا تغيرت معالم هذا المكان بفعل فاسد أو ظالم أو مستعمر، بعد ما كان يثيره في نفسه من ألفة وانسجام، لأن المكان حينئذ أحدث" في كيان الشاعر المغترب فجوة نفسية وصرخة مؤلمة عبرت عن الواقع غير المنسجم مع الذات"[(١)] ونتيجة لذلك يتعمق الشعور لديه بالاغتراب المكاني فينعكس ذلك على نتاجه الشعري. ومهما يكن فلقد بدت مظاهر الشعور بالاغتراب المكاني عند (الديب) على النحو التالي:

(أ) الشعور بالوحشة تجاه المكان:

لقد حبا الله –سبحانه وتعالى– (مصر) بالنيل فترسخت صورتها في وجدان الشعراء بأنها جنة الله تعالى في الأرض، فراحوا يتغنون بجمال ريفها ونضارة طبيعتها وغزارة خيراتها، ولكن ما إن أصبحت تحت وطأة الاحتلال (البريطاني) الغاشم إلا ونهب ثرواتها وخيراتها فعم الجدب، والخراب، والدمار بربوعها وريفها الذى ما لبث في أحضان الاستعمار إلا وقد تبدل من كونه تملؤه معالم الخير والترف إلى كونه يبدو خرابا إذ امتدت يد الفقر والجوع والتشرد إلى أبنائه من الفلاحين، فقال: **{من الوافر}**

على أطلالها سكبـــوا وناحوا وبعد خرابها لطموا وصاحوا
وكانت فى الغنى جنات عدن بها الخير أنهار وســـــاحُ
فأصبح دوحها أوكار بـــوم وبات أجاجها مـــــاء قراحُ
أذل الريف جـــوع وابتئاس كأن هلاكه قدر مـبـــــاحُ
وكان الريــف دور غنى وعز وأهل الريف أمجاد سماحُ[(٢)]

قد برع (الديب) فى التعبير عن حالة الخراب والدمار التى خلفها المستعمر وأعوانه في الريف المصري حينئذ فاستفتح أبياته بمشهد جنائزي مخيف يعبر عن ذلك وقد تجسد ذلك في البيت الأول

(١) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص٨٥.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص٢٩٣.

الذى عبر فيه عن (مصر) بالأطلال والخراب فقال: (أطلالها – خرابها)، أضف إلى ذلك تعبيره عن نهب المستعمر وأعوانه لخيراتها بالنوح واللطم والبكاء الزائف، فقال:(سكبوا، ناحوا، لطموا، صاحوا)، ثم انتقل بعد ذلك مفصحًا عن تشابك شعوره بالاغتراب المكاني–النابع من الشعور بالوحشة تجاه المكان وما آل إليه–مع إحساسه بالاغتراب الزماني، إذ راح يتدرج في وصفه لحال مصر وريفها عبر الزمان، فقال: (كانت...جنات عدن– فأصبح دوحها أوكار بوم– بات أجاجها ماء قراح) الدال على أنها كانت تحاكي في ماضيها نعيم الجنة وخيراتها ولكنها لم تلبث حتى تبدل حالها وأصبح ريفها خرابا، ثم لازمتها الوحشة فباتت لا تفارقها دائمًا، وفي هذا إيحاء بمشاعر الحزن التي تعتريه جراء ما أصبح عليه وطنه من بؤس وشقاء جعله يبحث عن الخلاص من هذا الشعور المرير بالاغتراب المكاني والزماني فلجأ إلى الزمن الماضي، حيث رحل إلى ما كانت عليه مصر وريفها من خيرات عله يجد الخلاص من مرارة الشعور بالاغتراب، فقال: (كانت...جنات عدن–كان الريف دو غنى وعز) فجسد ذلك الشعور بالوحشة التى اعترته تجاه وطنه (مصر) حينئذ.

ويزداد إحساس (الديب) بالوحشة فينفعل وجدانيا مطلقًا صرخة اغترابية تتجسد في تعجبه لما أصبحت عليه (مصر) من جدب تعجبًا يوحي بمدى الوحشة التى أطبقت على وجدانه تجاه وطنه وما أصبح عليه أبناؤه من بؤس وفاقة، إذ صغر فيها الرغيف رغم غزارة القمح بها وجريان النيل بين ربوعها، فقال: **{من الكامل}**

صغر الرغيف كأنما هو قطعـــــــة ... من قلب تاجره وجلد البائـــــعِ
هل صار وهمًا أم خيـــــــالا؟ إنه ... قد عاد غير مؤمل أو نافـــــعِ
لو كان ســــــــــما ما تخرم آكلا ... أو كان ذا أثر بوجه البائـــــعِ!
قد كان شيخا للطعام فمـــــــا له ... قد صار شبه وليد شهر سابعِ
القمــح أوفر غلة فى أرضكـــــــــم ... والأرض لم تنكب بمحل فاجـعِ
والنيل ما زال الوفيَّ بعهـــــــــــده ... يجري بسلســـال وفير هامــعِ
يا للرغيف وياالهول ضمـــــــــوره ... قد صار أمنية لبطن الشـابعِ[1]

وقد أجاد (الديب) التعبير عن نفثاته الاغترابية المتجسدة في شعوره بالوحشة تجاه حال (مصر) وما أصبحت عليه من خراب وما انتاب أبناءها من جوع وبؤس، عندما عبر عن مدى التناقض والتفاوت بين طبيعة (مصر) فقال:(الأرض لم تنكب بمحل فاجع– النيل ما زال...يجري بسلسال وفير هامع) الدال على خصوبة أرضها وغزارة مائها، وبين حال أبنائها فقال: (صغر الرغيف– صار...غير مؤمل أو نافع– صار شبه وليد شهر سابع)، وفى هذا دلالة على مدى البؤس والفقر

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣٣٢.

الذى يعيش أبناؤها فيه حينئذ، حيث تبدل حال الرغيم فأصبح ضئيلا حجمه حتى ظُن أنه وليد لم يكتمل تكوينه!، ونتيجة لذلك التناقض المشاهد تنامى الشعور بالاغتراب المكاني لديه، فراح يندب حال الرغيف وما أصبح عليه من ضمور ونحول جعله يصبح أقصى ما تتمناه بطن الجائع، وفى هذا دلالة على مشاعر التفجع والفزع المغلفة بالحسرة والألم لحال وطنه.

ومن الجدير بالذكر أن مشاعر الوحشة الملقية بحسرتها وحزنها وآلامها على وجدان (الديب) في هذا المقام عملت على تصاعد الإحساس بالاغتراب المكاني لديه عندما رأى أن مخالب البؤس أخذت تنهش فى أحشاء أبنائها رغم ما بها من خيرات وثروات فقال: **{من البسيط}**

نرعى الهشيم بوادينا على سـغب والينع النضر يرعى الشابع البطرُ
حتى الرغيـــف فقدناه ولا عجب فنحن فى أمـــــة أيامها عِبـرُ
أحياء مـوتى من البلوى وكم محن يبدو بها يســرنا والبؤس يستترُ
أجنة الخلد فى مصر مصـــوحـــة والنار فى غيرها للخيـــر مدخرُ؟(١)

وتبدو مظاهر الشعور بالاغتراب المكاني في تلك الأبيات من خلال تجسدها فى مشاعر الوحشة الممزوجة بالغيرة على خيرات الأوطان التى حرم منها أبناؤه فكان حظهم منها الجوع في حين أن المستعمر الغاشم ومعاونيه قد استأثروا بخيراتها، وللقاريء أن يتأمل براعة الشاعر في تعبيره عن ذلك بقوله: (نرعى الهشيم بوادينا على سغب)، حيث عبر عن جوع أبناء مصر برعي الهشيم على سغب، ثم عبر عن (مصر) بالوادي مما يجسد مدى الخيرات التى حرم منها أبناؤها في حين أن المستعمر قد جعلها قاصرة عليه وعلى معاونيه فحسب، فقال: (واليانع النضر يرعى الشابع البطر) فجسد ذلك مشاعر الحزن الممزوج بالألم والحسرة لما أصبحت عليه (مصر) وأبناؤها من بؤس وشقاء، ويسترسل الشاعر في التعبير عن وحشته المُجسدة لشعوره بالاغتراب المكاني تجاه وطنه عندما يبين أن أبناءها قد فقدوا رغيف الخبز فقال: (حتى الرغيف فقدناه) الدال على شدة البؤس والفقر الذى أصابهم ولم يكن هذا فحسب فينتقل بعد ذلك إلى التعبير عن الشعور النفسي لأبناء (مصر)، فقال: (أحياء موتى...والبؤس يستتر) الدال على حياة اليأس والاستسلام التى يحياها أبناؤها، ونتيجة لذلك ينفعل وجدانيا من تلك المشاهد الموحشة فيتساءل في حزن وألم قائلا:(أجنة الخلد فى مصر...غيرها للخير مدخر؟) فجسد الاستفهام جل مشاعر التعجب الممزوج بالإنكار لما أصبحت عليه (مصر).

وتتنامى مشاعر الوحشة المكانية فى وجدان (الديب) فينتقل من التعبير عن الوحشة التى انتابته تجاه (مصر) وربوعها إلى التعبير عن الوحشة التى انتابته تجاه منازل الأهل وديارهم، نتيجة لتغير

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣٢١.

معالمها وذهاب بهجتها وحلول السأم بها بعد الألفة واندثار رسومها ودروس عرصاتها حالة زيارته لها بعد عشرين عامًا من رحيله عنها، حيث أثار ذلك المشهد الحزين لها في وجدانه الشعور الاغتراب المكاني، فقال: **{من الطويل}**

تغيـــرت يا دنيا فأين مضى أهلي؟ وأين ديـــــار لم تذق نُوَبَ المــحلِ
وأين جواميس ســــــمان حلوبة؟ وأين جمال لا تراع من الحمـــــــلِ
وأين حمـــــــــامات هتفن عشية تنوح على إلف وتبكي على شملِ؟[1]

استفتح الشاعر أبياته بما يعبر عن مرارة شعوره بالاغتراب المكاني فقال: (تغيرت يا دنيا)، وفى هذا دلالة على حالة الحزن والشجن التى أصابته جراء شعوره بالوحشة تجاه الدنيا كلها، إذ أصبحت الدنيا بجل عوالمها المكانية موحشة لديه، فتغيرت معالمها وشعر بوحشتها وعدم ألفتها، ونتيجة لذلك ارتفعت صرخته الاغترابية فراح في اضطراب نفسي وخفقان قلبي يتساءل فى حيرة وتردد وحسرة وشجن مفصحا عن معالم تلك الوحشة المكانية التى تخللت أعماقه وأصابته بالشعور بهذا الاغتراب المكاني فقال: (فأين أهلي) إذ بات المكان غير مألوفٍ لديه جراء فقده لأهله، حيث رحيلهم إلى مثواهم الأخير فواراهم الثرى وبقيت ذكرياتهم تثير في وجدانه الحزن والأسى، ويتتابع الخفقان القلبي له فينتقل إلى معلم آخر من معالم الشعور بالوحشة المكانية التى انتابته، إذ قال: (وأين ديار لم تذق نوب المحل) وفي هذا دلالة على تغير معالم تلك الديار بأن درست محالها فتهدمت عرصاتها وبدت أطلالا رسومها بالية فخيمت عليها معالم الوحشة والسأم وانْتُزعت منها معالم الألفة والبهجة.

ويتابع (الديب) صرخاته الاغترابية النابعة من شعوره بالاغتراب المكاني، فأخذ يسترسل فى إفصاحه عن معالم تلك الوحشة التى ألقت بظلالها على ديار أهله مع خفقان قلبي بدا في تتابع استفهامه التعجبي، فقال: (وأين جواميس...وأين جمال...وأين حمامات...)، وفى هذا دلالة على أن الوحشة التى أصابت ديار الأهل وجعلته يشعر بالاغتراب المكاني باتت نابعة من حالة البؤس والفاقة التى أصبحت عليها، إذ تبدل حالها من كونها كانت تملؤها خيرات الريف المتجسدة في تلك الجواميس السمان الحلوب، وهذه الجِمال الفتية القوية التى لا تخشى ثقل الأحمال، وكذلك الحمامات التى كانت تعكس ذروة حياة الثراء الريفي البسيط!

ومن الجدير بالذكر أن (الديب) قد كان دقيقًا في أوصافه لما ذكره من حيوانات وطيور، إذ أوحت تلك الأوصاف بمعان قصدها دون غيرها، فوصفه للجواميس بالسمان الحلوب، وللجِمال بأنها لا تراع ولا تخشى ثقل الأحمال، يوحي بمدى الثراء الذي كان يعيش فيه أهله قبل موتهم، وبسؤالها عن

(١) السابق نفسه، ص ١٢٧ .

تلك الحيوانات إيحاء بتبدل الحال من الغنى والثراء إلى البؤس والفاقة. أما صورة الحمام والتى كانت هي الأخرى تؤكد وتبرهن على هذا الثراء، فأرى أن الشاعر لم يرم ذلك المعنى فحسب، بل أراد أن يعكس أنينه الوجداني النابع من مرارة شعوره الاغترابي فأسعفته الذاكرة بصورة الحمام وهديله الشجي، إذ راح يسأل عنه وعن شجوه الذي كان يهتف عشيا، لما في شجو الحمام من أنين وحزن من شأنه أن يعبر عن آهات الشجي وأنات قلبه الحزين، بل ويثير الشوق في وجدانه، ونتيجة لذلك راحت تفيض نفس (الديب) شجنًا وحزنًا فأجاب على سؤاله قائلا: (تنوح على إلف وتبكي شمل)، فاستدعائه لصورة الحمام كان – بالإضافة لما سبق – لكي يشاركه حزنه وأنينه وعويله بصوته الشجي النائح الباكي، وذلك لما حَلّ بديار الأهل من وحشة ناتجة عن موت أهله ورحيلهم إلى مثواهم الأخير.

إن الشعور بالوحشة تجاه المكان وما يحمله في طياته من شعور بالاغتراب المكاني، لم يقف عند كونه قد تغيرت معالمه وتبدلت أوصافه من الرخاء والثراء إلى الجدب والفاقة، أو من كونه صار أطلالًا ورسومًا دوارسَ بعد أن كان منيفًا تملؤه بهجة الحياة، إنما تعدى هذا الشعور إلى النفور من المكان لعدم ملاءمته للحياة البشرية، وذلك كأن يبدو مليئًا بالحشرات والزواحف، ويبدو جوه مليئا بالأمراض المهلكة للأبدان حتى يظن ساكنه أنه قد قبر وأصبح في لحده، وقد رصدت عدسة (الديب) الاغترابية هذا الشعور حالة وجوده في غرفته البائسة، فقال:

{من الطويل}

أفي غرفتي يارب أم أنا في لحـــــدي؟ ألا شـــد ما ألقى من الزمن الوغدِ
وهل أنا حـــــــــي أم قضيـت وهذه إهابة إســـــرافيل تبعثني وحدي؟
أرى النمل يخشـى الناس إلا بأرضــها فأرجله أمضى من الصـارم الهندي
تســـــــــاكنني فيها الأفاعي جريئة وفى جوها الأمراض تفتك أو تعدي[1]

لقد تجلت معالم الشعور بالاغتراب المكاني في إحساس الديب بالوحشة تجاه غرفته التي أجبرته حياته البائسة على العيش فيها، وقد برع الشاعر في تعبيره عن تلك الوحشة الملقية بظلالها عليه تجاه غرفته، حيث استفتح أبياته بأسلوب الاستفهام المجسد لجل معاني الحيرة والاضطراب الممزوج بالحزن والأسى والحسرة، فقال: (أفي غرفتي يارب أم أنا فى لحدي؟) وفي هذا دلالة على أن تلك الغرفة التى يعيش فيها (الديب) قد حاكت اللحد في ظلمته وضيقه حتى بات يظنها لحدًا قد قبر فيه، ويتعمق الشعور بالوحشة المكانية لديه عندما يتساءل عن حياته في كنف تلك الغرفة الموحشة فيقول: (هل أنا حي أم قضيت وهذه إهابة إسرافيل ...)، وفي هذا دلالة على حالة الفزع التى تنتابه

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٣٧.

داخل تلك الغرفة، حيث وجوده بها وحيدًا لا أنيس له يدفع عنه ظلمة وحشتها وما اعتراه فيها من مشاعر نفور مزج بالخوف والأسى والحزن.

ويسترسل (الديب) في إفصاحه عن المظاهر التى تدفعه للشعور بالوحشة تجاه تلك الغرفة، فقال: (أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها–تساكنني فيها الأفاعي جريئة) الدال على أن الحشرات والزواحف قد ألفت تلك الغرفة، فالنمل لا يخشى سكانها، إذ يمشي على جلودهم محدثا بها الجروح المحاكية لفعل الصارم الهندي، كما أن الأفاعي تشارك ساكنها المبيت في جرأة دون خوف أو فرار عند رؤيته بها، وهذا بدوره يوحي بأنها غرفة شديدة القدم، متهالكة، متصدعة جدرانها ساقط سقفها؛ فباتت مكانا مألوفا للزواحف والحشرات تأنس فى رحابه الملائم لطبيعة حياتها في الأماكن المتهدمة.

وتبدو براعة الشاعر فى حسن ختامه لأبياته التى يصف بها تلك الغرفة الموحشة، إذ تناسب قوله:(وفى جوها الأمراض تفتك أو تعدي) مع ما صرح به من أوصاف لتلك الغرفة التى باتت مظلمة، ضيقة، متهدمة، مليئة بالزواحف والحشرات، إذ في تلك الأوصاف التأكيد على أن جوها به من الأمراض الفتاكة والمعدية ما يجعلها لا تلائم أن يعيش فيها إنسان، وهذا من شأنه أن يؤكد على مدى نفوره منها وشعوره فيها بالاغتراب المكاني لعدم تلاؤمها مع طبيعته كإنسان حي!!!

إن نشأة (الديب) في ريف (مصر) وما به من طبيعة نضرة تترنح فيه الأشجار والأغصان بفعل نسيمها الرطب، جعلته يشعر بالوحشة المكانية داخل (القاهرة) حيث مخالفة طبيعتها القاسية وبيئتها الحارة ما عهده فى طبيعة الريف النضر، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من المتقارب}**

أنارُ الجحيـــــــم أم القاهرة ودنياي تلك أم الآخـــــرَهْ؟
لقد حرق الليل جمـــر النهـار فما ينقضي القيظ والهاجرَهْ
وصار النسيم كلفح الهجـــيـــر وأنفاس محتضر خـــــائرَهْ
وطول الطريق كطول الصـــراط تؤود فظاعتـــــــه عابـرَهْ
ومن يلتمس ما بها من ظـــلال فقد باء بالصفقة الخاســرَهْ
فليســـــــت ظلالا ولكنهـــــا مثـــار لنقع من الحـافـرَهْ
كأن بأرجـــــــائها فجـــــرت براكين غاضبـــــة ثائرَهْ[1]

إن صورة صيف (القاهرة) الحارق وبيئتها الجافة الخالية من ظلال الأشجار التى عهدها في طبيعة الريف أثارت فى وجدان (الديب) الشعور بالوحشة مما كان له أثر فى تعمق لديه الشعور بالاغتراب المكاني.

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٥٥.

هذا، ومما يؤكد شعوره بالاغتراب المكاني النابع من شوقه وحنينه إلى البيئة الريفية ومعاداته لطبيعة بيئة (القاهرة) وشعوره بالوحشة فيها، ما باح به من دلالة على ميله الوجداني إلى طبيعة البادية، وما فيها من بساطة حياة، نافرًا من بيئة الحضر المتكلفة، وما فيها من قصور منيفة، فقال: **{من المتقارب}**

تعيب الحضـــــارة عيش العراء ووِرد العيون وسكنى الخبـــاءْ
ومن لي بعيــش بها فى كفاف وخلق رضي كصفو الســـــماءْ
ومن لي بصبــح تهب الخزامــى به فأصيب المنى والرخـــــــاءْ
لقد محلت فى القصور النفوس فكل الذي تجتليه ريـــــــــاءْ
فأين الحضارة من عيشـــــــة بها كل رأس يمس الســـــماءْ
وأين الحضارة من جنـــــــــة غنى النفس فيـــها بعود وماءْ
وأين الثـــــريا وأين الثـــــرى وأين من البدر هذا البـــــهاءْ[1]

إن ميل (الديب) إلى طبيعة البادية المحاكية في بساطتها البيئة الريفية يعبر عن شعوره بالوحشة داخل (القاهرة)، حيث شعوره بالوحشة تجاه البيئة الحضارية بكل معالمها من قصور وغيرها، وللقاريء أن يتأمل فلسفة الشاعر الوجدانية في ميله إلى طبيعة البادية التى بدت فى تعبيره عن بساطة الحياة فيها وبدائيتها، حيث العيش فى العراء وورد الآبار العيون وسكنى الخيام والعيش على القليل فى رضى يحاكي صفو السماء.

ولم يكن هذا فحسب فينتقل الشاعر بعد ذلك إلى أثر طبيعة البادية على ساكنيها، إذ بين أن بساطة تلك الحياة وسهولتها جعلت نفوسهم راضية قانعة خالية من الرياء الذى يتسم به ساكنو القصور، ومبينا أنه لا غرابة في ذلك، لأن حياة البادية بسيطة سهلة تقوم على الكفاف من العيش، ويعود تارة أخرى للحديث عن جمال طبيعة البادية التى فيها يستمتع الناظر بالسماء وما فيها من نجوم وثريا تزينها ومن بدر يضيء ليلها.

هذا، ومما يؤكد صدق شعوره بالغربة الحقيقة، بل وميله الوجداني الصادق حنينًا وشوقًا إلى طبيعة الريف البسيطة والنفور من الطبيعة الحضارية المتكلفة، شعوره بالوحشة ونفوره من مظاهر الطبيعة التى وجدت في ظل تلك البيئة والحياة الحضارية، ومما يبرهن على ذلك مشاعر الخوف والوجل التى تنتابه حالة رؤيته للبدر وقد أضاء سماء (القاهرة) للغارات الجوية في الحرب العالمية الثانية فبات جاسوسًا ماكرًا وخادعًا، إذ كشف بضوئه ستر الليل عنها وأصبحت فريسة سهلة المنال أمام غارات العدو ومرمى نيران طائراتهم فقال: **{من البسيط}**

(١) السابق نفسه، ص ١٦٩.

أخافنا البدر فى الهيجـــــــــاء والنور فالنور فى محنة الغارات محـــذورُ
وما تعود منا البدر جـفـــــــوتـــه لكن من خاف منه المـوت معذورُ
هل الســـماء تحدانا مشـــــــــارقها وما قضى الله لا يخفيه ديجـــورُ
كأنما البدر جاســـــــــوس ينم بنا وكم بمشرقه قد بان مســـــتورُ
أو أنه نية ســـــــــوداء يعلنهـــا للكيد مضطلع بالدرس مصـــدورُ
يا بدر تظهـــــــر فى الغارات مفتضحا لأنت يا بدر نشوان ومخـمـــورُ
يا مشـــــعل الموت في قوم يفاجئهم وليـــــــــس يدفع رأي وتقديرُ
قد تلعن العين حســن الروض إن سكنت به الأفاعي وحاكته الأعاصيـــرُ[1]

ويزداد شعوره بالغربة تجاه الظواهر الكونية المنتمية لطبيعة الحضر التى تجسدت في صورة (البدر) فيصرخ مكررا نداءه له علَّه يجد الخلاص من مرارة شعوره بتلك الغربة قائلا: (يا بدر...) وواصفا إياه تارة بالمخمور فاقد العقل، وبأنه مشعلٌ لنيران الموت الملتهمة لأرواح المصريين جراء ضوئه الفاضح، وبالوقوف على التفسير النفسي لتلك المشاعر نجد أن (الديب) شعر بأنه من الممكن أن يتبادر لذهن المتلقي حالة من النفور وعدم الاقتناع الفكري بتلك المشاعر المتجسدة فى شعوره بالميل إلى طبيعة الريف والنفور تجاه طبيعة الحضر وظواهرها الكونية، فقال: (قد تلعن العين حسن الروض إن سكنت به الأفاعي وحاكته الأعاصير) فدل ذلك على أن هذا الشعور النفسي نابع من عدم قدرته على معايشة بيئة الحضر، ونتيجة لذلك راح يعلن ميله وحنينه وشوقه إلى الريف وكل ما يحاكيه كـ (البادية) نافرًا من بيئة الحضر ومظاهرها الكونية!

(ب) مناجاة الطبيعة:

إن مناجاة الشاعر للطبيعة ومظاهرها وأشكالها المتباينة، يُعد مظهرًا من مظاهر الشعور بالاغتراب المكاني؛ وذلك لأن الطبيعة حينئذ تُعد الملاذ المفرج عنه همومه وأشجانه وهواجسه، بل وسبيل الخلاص الذي يبث إليه أحزانه وانفعالاته المتوهجة؛ لـ "تبقى الطبيعة هى الرؤية التى يُعبر من خلالها الشاعر عن إحساسه بالاغتراب المكاني..."[2] من خلال هروبه إليها وبثه ما يجول فى وجدانه لها من مشاعر رغبة منه في التخفيف مما يعانيه من مرارة شعور بالغربة المكانية ووحشتها الملقية بظلالها على وجدانه. هذا ولقد عانى (الديب) أشد المعاناة من الشعور بالاغتراب المكاني،

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٧٣.
(٢) الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي، ص ١٤٦ .

فراح يبث آهاته وأحزانه إلى الطبيعة المحيطة به وذلك من خلال مناجاته لها عله يجد الخلاص لما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب، وفي هذا المقام قال:-مناجيا النجوم- **{من مجزوء الرمل}**

أنجوم أنت أم دمـــــــ ـــــــــع السماء خبريني

أم جواسيس علينـــــا رقبـــــــــــاء كل حينِ(١)

إن مناجاة الشاعر للنجوم عبر قالب الاستفهام المتجسد فى قوله: (أنجوم...أم دمع السماء...أم جواسيس) يوحي بمشاعر الاضطراب والحيرة الممزوجة بالخوف والفزع والتى بدورها تبرهن على شعوره بالاغتراب المكاني النابع من مشاعر الوحشة التى تنتابه تجاه وطنه -مصر- حيث قبوعه تحت وطأة الاستعمار الغاشم ومعاونيه ممن أرسلوا الجواسيس على أبناء الوطن لمراقبتهم خشية من ثورتهم الفاتكة وغضبتهم القاتلة.

ومن الجدير بالذكر أن شعور (الديب) بالاغتراب المكاني المتجسد في مناجاته للطبيعة ومظاهرها قد تشابك مع إحساسه المرير بالاغتراب النفسي والاجتماعي والزماني، وذلك لما تحمله مناجاته للطبيعة من بث لجل معاني الاغتراب التى يشعر بها ومما يؤكد ذلك مناجاته للورود والطيور إذ قال: **{من الرمل}**

أيها الورد انتحر لا تتئـــد قد تجـــافى دهرنا بالأرجِ

أيها الطير إلى الموت فقد صمت الآذان عن كل شجِ(٢)

والمتامل لهذين البيتين يجد أن (الديب) قد انتقل من مناجاته للورود والطيور المعبرة عن غربته المكانية إلى البوح بما يعبر عن غربته الزمانية والاجتماعية -على الترتيب- ومما يؤكد ذلك طلبه من الورود أن تنتحر، حيث جمع في نظمه بين صورة الورود وما تحمله أوراقها من رقة ونعومة وطيب أريج وبين ما يعانيه من اغتراب زماني نابع من جفاء الدهر ومعاداته له.

أضف إلى ذلك جمعه تارة أخرى بين صورة الطيور وما تحمله من كل معاني الألفة والانسجام المقرون بالترابط فلطالما شوهدت الطيور فى أسرابها سابحة فى السماء وبين ما يعانيه من اغتراب اجتماعي نابع من الشعور بالوحدة التى يحياها جراء شعوره بالتهميش والنبذ والإقصاء، حيث افتقاده لمن يواسيه حالة إصابته بمكروه فالآذان صمت عن أشجانه ونفر منه جل أفراد المجتمع المحيطين به، وقد عبر من خلال هذا البوح والبث الوجداني عما يعانيه من حزن وألم نابع من شعوره المرير بالهموم والمحن المتراكمة عليه، وكذلك شعوره بالوحدة الفاتكة بوجدانه. إن الجمادات باعتبارها مظهرا من مظاهر الطبيعة المكانية قد كان له حضور واسع فى المدونة الاغترابية لـ (الديب)، ومما

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٦٣.

(٢) السابق نفسه، ص ١٣٥.

يؤكد ذلك قوله:- "مناجيا القصر الذي كان يقيم فيه قبل تشرده بعد وفاة (سيد درويش) صديقه الذى كان يعطف عليه ويكرمه"[١] - **{من البسيط}**

لو أستطيع البكا يا أيها الطلل بكيت حتى شكت من دمعي المقلُ
أرى الحوادث آسادًا مقذَّفة عليَّ دون الورى تعدو وتقتتلُ
فكم تصوح عودي بعد نضرته وكم خبا فى دياجي عمري الأملُ
وكم دعت لي أمي وهى باكية وكم دعا لي أبي يقظان يبتهلُ[٢]

وتتعمق مرارة الاغتراب المكاني عند (الديب) عبر أسلوب النداء المتجسد في قوله (يا أيها الطلل) والذي يهدف من خلاله إلى البوح الممزوج بالاستغاثة بهذا الطلل أن يخلصه مما هو فيه من شعور وجداني بالغربة المكانية المحدقة به، حيث تشرده في الدروب دون مأوى يُؤْوِيه أو مسكن يحتويه، بعد أن كان هذا الطلل المُناجى مسكنه الذي يأوي إليه ويحميه من نوائب الحياة وصروفها التى بدت في ترصدها له كالوحوش الضواري. وينتقل الشاعر في براعة شعرية من التعبير عن الاغتراب المكاني، إلى بيان مظاهر اغترابه النفسي البادية فى حديثه عن همومه وأشجانه، التى أخذته فى غربة نفسية عميقة، نتيجة لكثرة النوائب والمحن التى باتت قاصرة عليه دون غيره من الورى وتلك صرخة اغترابية تنم عن شدة حزنه وألمه وشعوره الدائم بالاغتراب النفسي، وقد أجاد (الديب) عندما جعل الصروف في حالة تأهب دائم تجاهه وكأنها الأسد الضواري المقذّفة التى تغدو في اقتتال دائم معه، فللقارىء أن يتأمل قوله: (أرى الحوادث أسادا مقذفة عليَّ...تغدو وتقتتل)، وما فيه من سيطرة للفعل المضارع عليه، فرؤية الشاعر وتصوره لتلك الأحداث رؤية حالية من شأنها استحضار مشهد الحوادث – المحاكية للأسد الضواري – في ذهن المتلقي، حتى ينتقل الشعور الاغترابي المنبثق من شدة خوف الشاعر وحزنه إلى وجدان المتلقي فيشعر بمعاناته وآلامه، أضف إلى ذلك تعبيره عن مصارعة الحوادث له بالفعل المضارع الموحي بدوام الفعل وتجدده وهذا بدوره يؤكد على كثرة المحن والأحداث الملمة به، بل وملازمتها إياه، حيث غدوها له في كل صباح تقاتله وتتصارع معه، حتى أفقدته نضرة شبابه وقوته فأصبح يائسًا فاقدًا للأمل، فقال: (تصوح عودي...خبا...الأمل) الذي يؤكد مدى اغترابه النفسي النابع من أثر النوائب وكثرتها التى أصابته بالوهن والعجز واليائس. وقد تعمق الشعور الاغترابي لدي الشاعر عندما خشي أن يتبادر إلى ذهن المتلقي أن ما به من هموم وأحزان وبؤس وعجز نجم عن عقوق منه لوالديه؛ فأسرع في بيان حاله معهما قائلًا : –فى صرخة اغترابية تملئها نبرة من الحزن والأسى– : (كم

(١) ينظر عبد الحميد الديب حياته وشعره، ص ١٢.
(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٩٤ وما بعدها .

دعت لي أمي...كم دعا لي أبي) الدال على بره بهما ورضاهما عليه، وقد برع لغويًا عندما قيد دعاء أمه بالبكاء وربط دعاء والده بالابتهال واليقظة؛ لما فى ذلك من التأكيد على شدة بره بهما ورضاهما عليه، وبذلك فقد وصل إلى قمة الشعور بالاغتراب النفسي، حيث شعوره الوجداني بالظلم.

ويسترسل (الديب) في مناجاته للجمادات، إذ راح يناجي ديار الأهل باثا لها ما يعاني في رحابها من بؤس وفقر وضيم، إذ يتصاعد في وجدانه الشعور بالاغترب المكاني عبر صيحته الاغترابية البادية في الاستفهام التعجبي الذى ينتابه تجاه ما أصابه من ضيم وبؤس وفقر وفاقة رغم كونه في رحاب ديار عشيرته، فقال:**{من الكامل}**

هل فى رحابك يا ديار أضام؟ لا أنت راحمة ولا الأيـــــامُ

عشرين عاما يستبد بعيشتي حظ إذ صحت الحظوظ نيامُ[١]

والمتأمل لهذين البيتين يجد أن (الديب) قد جمع بين شعوره بالاغتراب المكاني والزماني والنفسي على الترتيب، إذ تجسد الشعور الأول: فى مناجاته لديار الأهل والأحباب فى شجن يبرهن عن مدى شعور بالضيم والبؤس رغم كونه في رحابها، والثاني: بدا في بيانه أن للأيام قوة فاعلة تبدو فى عدم رحمتها له كما أن الأعوام راحت تستبد بحياته مصيبة إياه بالبؤس والفاقة وخشونة العيش، والثالث: تجسد فى إفصاحه عن سوء حظه وشؤم طالعه، إذ أفصح عن تفرده بالخيبة والخسران، فحظه فى ثُبات عميق وفى غفلة دائمة عن مواطن السعادة والسرور فى حين أن حظوظ الناس يقظة ترصد لهم مواطن النجاة والسرور، وقد جسدت هذه المشاعر الاغترابية الثلاث حالة الشجن والحسرة الملقية بظلالها على وجدانه. إن التفسير النفسي لمناجاة (الديب) للطبيعة ومظاهرها واختياره الدقيق لبعض من أشكالها يحمل فى طياته دلالات رمزية تعبر عن غربته المتشابكة أضف إلى ذلك الدلالة على ميله الوجداني لها، إذ خصها دونها غيرها بالبوح والبث الوجداني.

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١١٨.

المبحث الرابع: الاغتراب الزماني:

لقد عانى (الديب) أشد المعاناة من الشعور بالاغتراب الزماني، وذلك لفقده لعنصر الانسجام والتلاؤم مع لحظات عمره وأوقات حياته، التى لطالما راح يشعر فيها أن للدهر قوة فاعلة مؤثرة تتربص له وتمكر به فراح يرد المحن المحدقة به والإخفاقات المتتالية في حياته إلى غدر الزمان به، ولا غرابة في ذلك فقد" مَثَّلَ الاغتراب الزماني نمطًا آخر من أنماط الاغتراب حين تناول الزمن بوصفه قوة فاعلة مؤثرة فى الإنسان...وذلك من خلال فقدان التوافق النفسي والانسجام الذاتي مع اللحظة" [١] وبتحليل شخصيته الاغترابية في هذا المقام يتبين أنه يشعر دائما بأنه فريسة لمكر الأيام ولياليها، بل و"يحاول أن يقنع نفسه بأنه ضحية"[٢] للمجتمع والمكان والزمان ونتيجة لذلك تنامى لديه طلاقة الشعور بالاغتراب بشتى صوره وأنماطه.

هذا، وقد بدت مظاهر الشعور بالاغتراب الزماني لدى (الديب) على النحو التالي:

(أ) الزمن مصدر للإهلاك والمِحَن:

ترسخ في المنطق الفكري والفلسفي والوجداني لـ(الديب) أن للدهر سُلطة فاعلة تمتلك من الإرادة والقدرة ما يجعله يشعر بمرارة الاغتراب، ونتيجة لذلك رد كل التقلبات والأرزاء والنوائب والمحن التى أصابته في حياته البائسة إلى فعل الزمن، ومما يؤكد ذلك تصريحه بأن الأيام باعتبارها من مفردات الزمان وأحواله قد أقامت حربًا ضروسًا بأهله فأهلكتهم جميعا ولم تدع منهم أحدًا، فقال: **{من الطويل}**

أقامت بنا الأيــام حربا فلم تدع بقوميَ من شـــــيخ يدب ولا طفلِ[٣]

وللقاريء أن يتأمل براعة الشاعر في تعبيره بصيغة الفعل الماضي (أقامت) الدال على قدم عهد المحن المهلكة لقومه بفعل الزمن فأكد ذلك مدى تأصل معاداة الدهر لقومه، ثم أردف ذلك بصيغة الفعل المضارع المنفي تارة والمثبت تارة أخرى، فقال: (فلم تدع....يدب) الدال على استحضار صورة الإهلاك فى ذهن المتلقي؛ إذ قضت تلك الأيام على عشيرته جميعا فلم تدع فيهم شيخا أو طفلًا يدب على الأرض، وفي هذا دلالة على مدى الإحساس بالحزن والأسى النابع من إهلاك الدهر لقومه مما ترتب عليه شعوره بالوحدة الممزوجة بالشجن.

---

(١) الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعي نفسية)، ص ٧٥ .

(٢) عباقرة ومجانين، ص٢٨٩.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٢٨ .

ويستكمل (الديب) صرخته الاغترابية في هذا المقام فبين أن الدهر لم يكتفِ بإهلاكه لعشيرته، بل تربص به فأصابه بالعديد من المحن والصروف حتى أرداه قتيلًا بين جنادل وأجداث يرجو الرحمة والمغفرة من باد ومعتكف، فقال: **{من البسيط}**

وضمني الدهر والأموات فى جـــدث نرجو المراحـــــم من بادٍ ومعتكفٍ(١)

وقد برع الشاعر عندما أكد أن افتقاره لغيره واحتياجه لمن يضمن له الخلاص مما هو فيه من مشاعر اغترابية ظل باقيًا حتى بعد موته، إذ راح يعاني الشعور بالوحدة النابعة من إهلاك الزمن لعشيرته حتى بعد أن أرداه الدهر قتيلا، حيث أخذ يستجدي الدعاء بالرحمة والمغفرة من كل باد ومعتكف، لأنه لا يوجد فى الأحياء أحد من عشيرته يتعهده بالدعاء والمغفرة سواء أكان شيخا يدب أو طفلا، وفى هذا دلالة نفسية على مدى الأسى الممزوج بالحزن الذى من شأنه أن يعمق لديه الشعور الاغترابي النابع من شدة وقع الدهر وأثره على وجدانه.

وتبدو براعته في اعتماده على المترادفات الزمانية للتعبير عن تعمق الشعور لديه بالاغتراب الزماني حيث عبر بصيغة الماضى عن إهلاك الدهر له، فقال: (ضمني) وفي هذا تأكيد على ما أقره من معاداة الدهر له ولعشيرته حتى فتك بهم وأهلكهم، ثم ضَمَّه مع الموتى في أجداثهم حينما فتك به، أضف إلى ذلك تعبيره بصيغة المضارع (نرجو) الدال على استمرارية تمنيه الدعاء ودوام طلبه للمغفرة من الأحياء، وهذا من شأنه أن يؤكد على أن هذا الإلحاح في الطلب ما كان إلا لعلمه أنه لم يعد في الأحياء من عشيرته مَن يتذكره، إذ أهلكهم الدهر بقوته الفاعلة كما أهلكه.

وقد تعالت صرخات (الديب) الاغترابية النابعة من شعوره المرير بالاغتراب الزماني عندما ترسخ في وجدانه أنه ضحية لعداء الدهر وغدره به، إذ بَيَّن أن ما لحقه في حياته من إخفافات متتالية أطاحت بعزيمته فأصابته بالخضوع والعجز، ما كان إلا بفعل الدهر باعتباره قوة فاعلة، فقال:**{من الكامل}**

زعم العواذل : أن سعيي مخفق والنحـــس توأم عيشـــتي ورفيقي

لولا منـــاوأةُ الزمان لهمتـــي أزرى بنـــور الشمـــس نور شروقي(٢)

وتتضح براعته في التأكيد على فلسفته الاغترابية من خلال نظمه الشعري، حيث افتتح بيتيه بالتعبير عن ظن العواذل الفاسد، بقوله: (زعم العواذل) حيث أضاف الزعم إلى العواذل، وفى هذا دلالة على بطلان ظنهم وفساد رأيهم وخبث أخلاقهم، أضف إلى ذلك دقته في اختيار الألفاظ المعبرة عن ذلك الظن الباطل، حيث عبر عن الإخفاق في مقام السعي، وعن النحس في مقام

(١) السابق نفسه، ص١٢١ .

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٠٠ .

العيش فدل على أنهم زعموا أن الإخفاق ملازم لجميع سعيه والنحس توأم ورفيق له، ونتيجة لذلك ارتفعت نبرته الاغترابية فراح يصرخ قائلا: (لولا مناوأة الزمان لهمتي) المؤكد على أنه ضحية للزمن ومحنه، وفى هذا دلالة على مرارة شعوره بالاغتراب الزماني، هذا بالإضافة إلى تقديمه الجار والمجرور فقال: (أزرى بنور الشمس نور شروقي) حالة إفصاحه عن مدى تربص الدهر به وفى هذا دلالة على قوة همته المنكسرة أمام سلطان الزمن، وفى هذا تأكيد على مرارة شعوره بالاغتراب الزماني.

(ب) خارطة المترادفات الزمانية وعلاقتها بالحالة الاغترابية الزمانية:

حضر الزمنُ في تلك المدونة الشعرية الاغترابية لـ (عبد الحميد الديب)، صريحًا مكثفًا آخذًا أبعادًا مختلفة بحسب الشبكة التعبيرية والخارطة اللغوية التى بث الشاعر فيها نفثاته الاغترابية وما يعانيه في تلك الأوقات الزمانية من مرارة، وما يعتريه فيها من هموم وآلام تجعل من تلك المترادفات الزمانية انعكاسا لمشاعره ولأحاسيسه الاغترابية، ولا غرابة فى ذلك فإن الزمن الذي" يحاكي الشعور... لا يمكن قياسه بدقة بوحدات التوقيت الشمسي، ومع ذلك فإنه يُعَبَّر عنه عادة بالأيام والأعوام، لأن هذه الوحدات مريحة وقابلة للتطبيق بالنسبة إلى ترتيب الحوادث الأرضية"(١) ومن ذلك يتبين أن شعور (الديب) بالاغتراب الزماني لم يقتصر فحسب على حديثه عن الزمن باعتباره قوة فاعلة، بل تعدى إلى وصفه لما يعانيه فى المترادفات الزمانية للزمن من هموم وآلام جعلته يتعمق لديه الشعور الاغترابي، ومما يؤكد ذلك حديثه عن الليل، إذ اتخذ منه وعاءً يبث فيه نفثاته الاغترابية المتجسدة فيما يعانيه فيه من ألم الجوع ومرارة التشرد، فقال: **{من الرمل}**

أقبــل الليل وما لي غـــــرفة ... بين هذا الكون فيهـــــا أهجـــعُ
غرفتي أكرم بها من غـــــرفة ... (مسجد العيني) وفيه المضجـــــعُ
كلما أُذن بالفجـــــــــر أرى ... ســــــــارق الإيواء عيني تدمعُ
أطرد الأنظـــــــار عني قنفذا ... قابعـــــــــا فى بردتي لا أطلعُ
وأنا الجائع قد مرت بـــــــه ... طاويا صبـــــــــرا ليال أربـــعُ(٢)

وتبدو نفثاته الاغترابية المعبرة عن تعمق الشعور لديه بالاغتراب الزماني من خلال معاناته التشرد فى دجى ليله البائس دون أن يجد مأوى يلجأ إليه فقال: (أقبل الليل وما لي غرفة... فيها أهجع) ولكنه لم يلبث حتى تصاعدت في وجدانه مشاعر الحزن النابعة من فقده لغرفة يهجع فيها رغم

(١) ظاهرة الزمن فى الشعر العربي القديم (بشار بن برد وأبو نواس نموذجًا)، نضال الأميوني دكاش، ص٢٠ وما بعدها، ط المجلس الأعلى للثقافة–القاهرة– الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٩م.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٢٨.

اتساع هذا الكون عليه، فجرد من ذاته شخصًا آخر يحاوره في براعة نظم تبرهن على صدق معاناته لألم الوحدة المقرونة بأسى التشرد فقال: (غرفتي... (مسجد العيني) وفيه المضجع) الدال على اتخاذه من المسجد مكانًا يأوي إليه، راصدًا مدى الصراع الوجداني الذي يعتريه حالة نومه فى المسجد وقد أُذن للفجر، فقال: (كلما أُذن بالفجر أرى... عيني تدمع... أطرد الأنظار عنى... قابعا فى بردتي)، وفي هذا دلالة على مشاعر الحزن الممزوجة بالخجل والانكسار والخوف والذعر نتيجة لكونه شريدًا طريدًا لا مأوى له، حيث راح يبكي في انطواء وانعزال وسكون وخفاء جعله يحاكي في هيئته القنفذ حال انحنائه، خشية من عيون الناس التى راحت ترمقه شذرا في تعجب وريبة، الأمر الذي جعله يبوح بما في مكنونه الوجداني من معاناة أخرى ضُمت إلى معاناة التشرد ألا وهى معاناته ألم الجوع، فقال: (وأنا الجائع... طاويا صبرًا ليال أربع) إذ عبر بضمير الأنا في مقام الانكسار والخذلان، إعلانًا منه لخضوعه واستسلامه وعجزه عن دفع ما يعانيه في ليله الاغترابي من جوع وتشرد، حيث ظل طاويًا على الجوع صبرًا لياليِ أربعا!

ومن الجدير بالذكر أن الليل في حياة (الديب) قد بات ساحة للصراع النفسي بينه وبين بؤسه، إذ انتقل في دجاه إلى عالم الرؤى والأحلام علَّه يجد الخلاص لما يعانيه فيه من مرارة شعور باليأس والبؤس، حيث ظل يحلم بحياة يملؤها الثراء والنعيم والترف، ولكن لم يلبث حتى يخفق في تحقيق تلك الأحلام، وذلك من خلال اصطدامه بواقعه المرير وحياته البائسة، ونتيجة لذلك تتهدم أحلامه وتتبدد خيالاته ويظل طوال ليله مسهد العينين فى هم وحزن وسهاد[١]، ومن الجدير بالذكر أنه قد كان لليل السجن حضور بارز في المدونة الشعرية الاغترابية للشاعر، إذ جمع فيه بين حديثه عن معالم اليأس التى يبثها ليل السجن في وجدانه وما يعانيه فيه من هموم وأحزان، فقال:

{من الطويل}

وكم ليلة في السجن بين صباحها وبين دجـــــاها مشـــــــــرق وغروبُ
فيحيا رجاء فى الحياة موســوس ويمحى بها فجـــــــــــــر أغر قريـبُ
وكل ضيـــــاء في الغيابة خادع ففجر الأماني للســـــــــجيـــن كذوبُ
لنا هجرة فى الهم لم ندر عنـــدها متى تنتهي من هولها ونـــــــــــؤوبُ[٢]

لقد تجلت مظاهر الشعور بالاغتراب الزماني في تلك الأبيات عبر تلك النفثات الشعورية التى تبوح بحالة الرتابة الزمانية التى تدور رحى فلكها على حياة (الديب)، فقال: -واصفًا ليالي السجن وضوء نهارها الخادع- (صباحها- دجاها- مشرق- غروب- فيحيا - يمحى)، وفي هذا إشارة إلى أن

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٥٠.

(٢) السابق نفسه، ص ١٣٤ .

الليل ونهاره بين شروق وغروب متعاقبين دون تغير في حالهما ومقامهما، وهذا من شأنه أن يعطي شعورًا بالرتابة والملل والإحباط الممزوج بالهم الفاتك بالوجدان، ويسترسل بعد ذلك في الإفصاح عن المترادفات الزمانية، وشدة وقعها عليه، وتجسيد علاقتها بإحساسه باغتراب بالزمان، إذ تعمق في وجدانه فبين أن الرجاء والأمل يكتنفه عند بزوغ ضوء الفجر علَّه يجد فيه الخلاص له من ليالي السجن المظلمة بأن يُطلق سراحه، ولكن سرعان ما تمتد يد اليأس فتنتزع منه الآمال عبر اصطدامه بواقع السجن المرير، وتتعالى صرخته الاغترابية عندما أبدى أنه لا يخدع بضياء الفجر الذي لطالما بات خادعًا له كاذبًا عليه، لا يأتي له بجديد إلا الهموم والأحزان، ونتيجة لذلك سيطرة مشاعر اليأس عليه فقال: (كل ضياء...خادع... ففجر الأماني للسجين كذوب)، وهذا من شأنه أن يبرهن على صرخته الاغترابية وسيطرة مشاعر الاغتراب الزماني عليه داخل سجنه، ولم يكتف بتصويره لما يعانيه في ليل السجن من يأس، بل انتقل للإفصاح عن الهموم التى باتت ملازمة له ليلا ونهارا في سجنه فقال: (لنا هجرة فى الهم ...)، فدل ذلك على تعمق الشعور الوجداني لديه بمرارة الإحساس بالاغتراب الزماني النابع من تراكم الهموم عليه وكثرتها. ولم يكن هذا فحسب، فلقد كان اليوم ونهاره في تجربته الاغترابية قالبًا وجدانيًا باح من خلاله كل ما يعانيه فيه من شقاء وبؤس، إذ حضر النهار في المدونة الاغترابية الزمانية للديب باعتباره ساحة للقتال عله ينال فيه حد الكفاف من العيش، فقال: **{من الكامل}**

في كل يوم لي حروب معيـــــشة عيـــش الكفاف بها نهـــاية مغنمي
والجوع أيســـــر ما تعاني أسرتي وكأننا من غيـــــــــــر بطن أو فمِ
أطوي النهار رهين فأســـي جاهدا وأعود ياويلاه عـــــــــود المرغمِ(١)

والمتأمل لهذه الأبيات يجد أن (الديب) قد صرح في البيت الأول بنضاله في حياته اليومية، فعبر عن ذلك بلفظ (حروب) بصيغة الجمع للدلالة على شدة كدحه ومعاناته، ثم ظن أنه من الممكن أن يتبادر إلى ذهن المتلقي أن تلك الحروب التى يخوضها تقتضي رغبته فى الثراء، فبين أن حروبه في معارك الحياة بدت رغبة منه في نيل حد الكفاف من العيش فحسب! ونتيجة لذلك تعمق لديه الشعور بالاغتراب الزماني عندما أخفق في تحقيق ذلك، فارتفعت نبرته الاغترابية في البيت الثاني عندما صرح بدوام جوع أسرته حتى ظن أنهم قد خلقوا بغير بطن أو فم وتلك سخرية تعبر عن مرارة شعوره بالعجز والإخفاق، ويصل في البيت الأخير إلى قمة الشعور بالعجز والانكسار والحزن، عندما يصرخ معلنًا فشله في نيله لحد الكفاف من العيش، حيث أوبته إلى أسرته بعد معاناة في معاركه المعيشية خالي الوفاض، مهيض الجناح، مدرجًا بآهات الأحزان والعجز والإخفاق فى

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٢٩٦ وما بعدها.

تحقيق حد الكفاف لأسرته، إذ جسد لفظ (المرغم) تلك الحرب النفسية التى أضرمت لظاها داخل وجدانه، حيث ظل طوال النهار مكافحًا دون أن ينال حد الكفاف حتى انقضى يومه فأصبح مرغمًا على الرجوع إلى أسرته، ولكنه لم يجد في حوزته ما يسد رمق صغاره، وبالتالي أصبح بين نار الجوع ونار الحزن على جوع أولاده.

ومن الجدير بالذكر أن النزعة الإسلامية عند (الديب) كان لها دور بارز في شعوره بمرارة الاغتراب الزماني، وذلك عندما تناقض شعوره الوجداني وواقعه المرير مع الغاية الإسلامية للزمن وطقوسه، ومن الأوقات الإسلامية التى اتخذها قالبًا فنيًا يعبر عما يعانيه فيه من مرارة شعور بالاغتراب الزماني (شهر رمضان)، الذي حث فيه الإسلام الناس على التحلي بالعطف على الفقراء، ودفع آفة الجوع والفاقة عنهم من خلال مشاركتهم ألم الجوع نهارًا بالصوم، ودفع غائلة الجوع عنهم عند غروب الشمس بالإفطار. بيد أن (الديب) راح يتضور فيه جوعًا ليلًا ونهارًا، فدام صيامه دون أن يعطف عليه أحد، ونتيجة لذلك تعمقت لديه مشاعر الاغتراب تجاه الزمن الذي خالف فيه ظنه واقعه المرير، فقال: **{من الطويل}**

أحييك أم أبكي لطول شـــــقائي؟ وأطريك أم أضفي عليك هجــائي؟!
أيا رمضان الموســرين وعيــدهم وموسم أفراح لهـــــــم وهنــاءِ
....
وإن كان صوم الناس جــوعا فإننا صيام كما تهوى صباح مســـــاءِ
ونلقى مريء الفطر صبحا مصادفا ومر الطوى فى مغرب وعشـــــاءِ
يؤذن بالإفطار للناس مغربـــــــا ونحن حيارى لم نفز بمـــــــاءِ(١)

استفتح (الديب) أبياته بما يعبر عن حالة التناقض الوجداني التى تعتريه تجاه شهر رمضان، إذ راح يتساءل في حيرة واضطراب عن مشاعره التى يجب أن يتحلى بها حال استقباله لهذا الشهر الكريم، بيد أنه لم يلبث حتى يعلن وحدته وانعزاله عن هذا الزمن، حيث قصره على الموسرين فبين أنه موسم لأفراحهم وسعادتهم بعيده، فقال: (أيا رمضان الموسيرين وعيدهم) وفي هذا دلالة على مخالفة مشاعره الوجدانية لمشاعر الناس حالة استقبالهم لهذا الشهر الكريم وعيده، إذ شملته مشاعر الحزن والأسى والبؤس جراء ما يعانيه فيه من جوع ليلا ونهارا، فقال: (فإننا صيام ... صباح مساء– الطوى فى مغرب وعشاء– يؤذن بالإفطار ...لم نفز بماء) الدال على صرخته الاغترابية النابعة من بؤسه وشقائه وجوعه في نهار رمضان وليله دون أن يظفر بغير الماء!!!

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٥٠ وما بعدها.

ولم يكن هذا فحسب فلقد أخذ(الديب) يفرد للعيد أبياتًا مستقلة يعلن فيها شعوره بالاغتراب الزماني في يوم العيد، حيث مخالفة مشاعره الوجدانية لما يجب أن تكون عليه مشاعر المسلمين حينئذ، إذ أخذ يعاني فيه همومًا ونوائبَ وشقاء وبؤسًا حتى ظن أنه ليس من معشر المسلمين، فقال: **{من البسيط}**

عيد تطالعني والعيـــــش منكود لأنت يوم الأســـــى والحزن يا عيـــدُ
آليت يا عيد لم تمرر بنا ســـنة وفيك أيامنا دون الورى ســـــــــودُ
يجدد الناس من لبس ومــن فرح وعندنا للأســـــــــــى والبؤس تجديـدُ
نبكي به وسوانا من مباهجـــــه بكاء فرحته شـــــــــــدو وتغريـدُ
كأنني لست من قومي فعيـــدهم لي يوم نحس لفرط الهم مشهـــــــودُ[1]

وتبدو براعة (الديب) في تعبيره عن اغترابه الزماني، الذي قد اتخذ من يوم العيد قالبًا اغترابيًا له يبث من خلاله صرخته الاغترابية، حيث تصريحه لما يعانيه في هذا اليوم من بؤس تجلى في ارتدائه الثياب البالية، وما ينتابه فيه من حزن وهم، فقال: (العيش منكود – يوم الأسى – الحزن – يجدد الناس من لبس... وعندنا ... البؤس تجديد) الدال على مخالفته مرغمًا للهيئة التى عليها الناس حينئذ تجاه الزمن مما يعبر عن غربته الزمانية، أضف إلى ذلك تباين مشاعره الوجدانية للشعور الوجداني الذى عليه الناس حينئذ تجاه العيد، فقال:(يجدد الناس ... من فرح وعندنا للأسى تجديد – نبكي به وسوانا ... فرحته شدو وتغريد) وفي هذا دلالة على شعوره بالوحدة والنبذ، ونتيجة لذلك أخذ يصرخ معلنًا غربته الاجتماعية عن مجتمعه، فقال: (كأني لست من قومي) وتلك صرخة اغترابية يملؤها الحزن والأسى النابع من الشعور بالغربة الزمانية.

هذ، ومن الجدير بالذكر أن لفصول السنة حضورًا بارزًا في تلك المدونة الاغترابية الديبية، إذ كان لفصل الشتاء شدة وقع على وجدان (الديب)، حيث راح يشعر فيه بمرارة ما يعانيه من اغتراب زماني، وذلك لما يحمله هذا الفصل من برد شديد وليل طويل يعز فيه الدفء لأمثاله من الفقراء البؤساء الفاقدين للكساء والغطاء والمشردين في السبل والطرقات الوعرة طاوين بطونهم على الجوع فى لياليه قارصة البرودة، فقال: **{من مجزوء الرمل}**

إيه يا فصل الشـــــتاء يا عدو الفـــــقراء
خانني فيك غذائـــــي خانني فيك كســائي
حين عز الدفء فى دا ري ودور الأصدقاء
قلت لله تــعـــــــالى: اجعل النار جزائـي[2]

(١) السابق نفسه، ص ٣٦١.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٥٠.

وتتضح مظاهر الشعور بالاغتراب الزماني في هذه الأبيات متجسدة في معاناته الجوع والعراء، وبذلك فقد تباينت مشاعر المأساة والمعاناة الديبية في فصل الشتاء عما عداه من الفصول، إذ أضاف إلى معاناة الجوع معاناة أخرى بدت في الشعور بالبرد، ونتيجة لذلك انفعل اغترابيًا وازدادت صرخاته الاغترابية، حيث راح يخاطب فصل الشتاء بالنداء المعبر عن مشاعر الأسى والتوجع والحسرة والألم فقال: (إيه يا فصل الشتاء) تارة، ثم وصفه بالعدو تارة أخرى فقال: (يا عدو الفقراء)، ثم وصفه بأنه موطن للخيانة والغدر فقال: (خانني فيك غذائي خانني فيك كسائي)، وفي هذا دلالة على مشاعر البغض التي انتابته تجاه هذا الفصل، ونتيجة لذلك اشتعلت نيران اليأس بوجدانه فراح يدعو الله –عز وجل– أن يدخله النار علَّه يجد فيها الخلاص من برودة الشتاء!!!

إن حديث (الديب) عن مشاعر الاغتراب التى انتابته في الفصول لم تقتصر على فصل الشتاء ولياليه فحسب، بل تعدت إلى رسمه بريشته اللغوية مشاعره الاغترابية ما يعانيه في فصل الصيف من مشاعر اغترابية، بيد أن حديثه عن هذا الفصل أخذ يجمع فيه بين الليل والنهار مبينًا ما يعانيه فيهما من ألم الجوع والمرض فى أيامه شديدة الحرارة حتى تنامى لديه الشعور بالاغتراب فوسم الفصول وأيامها بالكافرة[١]!!!.

(١) السابق نفسه، ص١٥٥.

الفصل الثاني: إضاءات فنية عن الاغتراب فى شعر (عبد الحميد الديب).

المبحث الأول: البنية التركيبية:

أولًا: الألفاظ

يُعد اللفظ القالب الذي يصب فيه الشعراء تجاربهم الشعورية، للتعبير عن نفثاتهم الوجدانية من خلال جودة السبك الموحي بتلك النفثات، فقيمة اللفظ ليست فحسب في ذاته وصفاته التى دفعت الشاعر لإيثاره على ما عداه من الألفاظ المتفقة معه في الدلالة، ولكن تبدو قيمته في موقعه من النظم، إذ لا ينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف فـ" الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة، ولا من حيث هى كلمة مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها..."[(١)]ومما يؤكد ذلك" أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد كلاهما حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك"[(٢)] وسياق النظم التى وضعت فيه.

هذا، وقد اتسم المعجم الشعري للألفاظ المعبرة عن مشاعر الاغتراب لدى (عبد الحميد الديب) في مدونته الشعرية بالسمات النقدية التالية: **(أ) الدقة والإيحاء:**

وتبدو دقة اللفظ في ملاءمته للمعنى الذي يجول في وجدان الناظم، لأن" الدقة معناها أن يختار الشاعر من الكلمات أكثرها دلالة على أداء المعنى الذي يجول في نفسه فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى، ولكن قد يكون بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض...ومعنى إيحاء الكلمة إثارتها في النفس معاني كثيرة أحاطت بها مع مرور الزمن حتى صار النطق بالكلمة مثيرًا لهذه المعاني..." [(٣)] وفي هذا تأكيد على أن اللفظ الدقيق الموحي يتجلى في ملاءمته للمعنى المشاكل له والمعبر عن الحالة الوجدانية للشاعر، ونتيجة لذلك فقد بدت دقة وإيحاء الألفاظ المعبرة عن المشاعر الاغترابية لـ (عبد الحميد الديب) في ملاءمة تلك الألفاظ لجوهر الاتجاه الاغترابي المسيطر على وجدانه، ومما يؤكد ذلك أن شعوره بالاغتراب الاجتماعي اتخذ من الألفاظ التى يعبر مضمونها اللغوي وجوهرها الإيحائي بجل معاني النبذ والتهميش والإقصاء والبغض الاجتماعي وما

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت/محمود محمد شاكر، ص٤٦، ط مكتبة الخانجي–القاهرة– الطبعة الخامسة، عام ٢٠٠٤م.

(٢) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت.د/أحمد الحوفي، د/بدوي طبانه، ١٦٤/١، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الثانية (د–ت).

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب، د/أحمد أحمد بدوي، ص ٤٥٢وما بعدها، ط نهضة مصر–القاهرة– الطبعة السادسة، عام ٢٠٠٤م.

ينتج عنه من انطواء وشعور بالوحدة والعزلة، سبيلًا للتعبير عن تلك الحالة الوجدانية الاغترابية، وفى هذا المقام قال:-متحدثًا عن ذاته المعذبة- **{من مجزوء الرمل}**

عــاش منبـــــوذًا طريـــــــــدًا يشـــــــرب البلوى وحـــيـــــــدًا(١)

فلقد آثر الشاعر التعبير بالألفاظ (منبوذا -طريدًا -وحيدًا) للتعبير عن إحساسه الوجداني بالاغتراب الاجتماعي، لما يبوح مدلولها اللغوي في دقة وإيحاء عن حالة الشجن والحسرة النابعة من نبذ المجتمع له، وما ترتب عليه من إصابته بالتشرد والانطواء والعزلة التى قادته إلى تجرع الشعور بآلام الوحدة دون أن يجد مَن يخفف عنه بلواه ومعاناته الملقية بظلمتها على وجدانه.

أضف إلى ذلك تعبيره عن واقعه الاغترابي المعيش تارة بصيغة الفعل الماضي فقال: (عاش) واصفًا إياه بالنبذ والطرد، ثم تعبيره عنه تارة أخرى بصيغة الفعل المضارع فقال: (يشرب) واصفًا له بتجرع آهات البلوى وحيدًا وفى هذا دلالة على تعمق الشعور لديه بالاغتراب الاجتماعي النابع من نبذ المجتمع له، حيث قدم عهده به وتأصله في واقعه المعيش حتى ألف ذلك الإحساس المرير وصار يجسد حاضره الأليم فبات يتجرع الشعور بألم المعاناة والمحن التى أسلمته إلى مرارة الشعور بالوحدة الاغترابية، ونتيجة لذلك رسمت تلك المفردات اللغوية في دقة وإيحاء مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي.

ولم يكن هذا فحسب فلقد اتخذ شعور (الديب) بالاغتراب النفسي من المعجم اللفظي الذي يبوح مدلول ألفاظه اللغوي بجوهر هذا الشعور الاغترابي، وبواعثه-التى تتجسد فى الشعور المرير بالفقر وما ينتج عنه من مِحن وهموم قادته إلى الإحساس باليأس والشعور بالعجز- سبيلًا له، فقال: **{من البسيط}**

فالبؤس أبعد عني كل مقتـــــرب حزنا وقارب مني كل منصـــــــرفِ
وردني فى الصبا شيخًا يضيق به عطف القلوب سوى هاو ومحتـــرفِ
وأطمع الوغد فى تبـريح متـــربتي وأركب النوك فوق الصدر والكتفِ(٢)

والمتأمل لهذه الأبيات يجد أن الشاعر قد أجاد عندما استفتح أبياته بلفظ يبوح مدلوله اللغوي بجوهر الشعور بالاغتراب النفسي، فقال:(فالبؤس) في براعة شعرية تبرهن على أن الشعور بالفاقة يُعد الباعث الأول لمرارة الشعور النفسي بالاغتراب، ونتيجة لذلك بدا يبوح بالدلالة الإيحائية للفظ فيما ترتب عليه من مشاعر اغترابية أُخرى بدت ناتجة عن الإحساس بالبؤس، فقال: (أبعد عني كل

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٣٥٥.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص١٢١.

مقترب–قارب مني كل منصرف) وفي هذا دلالة على الشعور بالاغتراب الاجتماعي النابع من الشعور المرير بالفقر الذي يُعد باعثا للشعور بالاغتراب النفسي، حيث ترتب عليه الشعور بالوِحدة الممزوجة بالحزن، إذ بات منبوذا من الأهل والأصدقاء، ثم أصبح قريبا من الأعداء الذين ما جُذبوا له إلا لأجل السخرية مما أصابه من بؤس والتهكم عليه، أضف إلى ذلك تصريحه بأثر آخر من آثار البؤس في براعة شعرية تؤكد على دقته وإيحائه اللفظي، إذ ترتب عليه إصابته بالعجز، والوهن، والشيب في ريعان شبابه، فطمع كل وغد وأحمق فى النيل منه والقدح فى عرضه، فقال:(أطمع الوغد...– أركب النوك...)، وفى هذا دلالة على تعمق الشعور النفسي لديه بالاغتراب الزماني.

ومن الجدير بالذكر، أن المعجم اللفظي المعبرة ألفاظه عن شعور (الديب) بالاغتراب المكاني باتت هى الأخرى تعبر فى دقة وإيحاء عن جوهر الشعور بهذا الاغتراب، إذ سيطرت الألفاظ التى يبوح مدلولها بالتعبير عن الشعور بالوحشة المكانية والفرار منها إلى مكان آخر قد تنفر منه الأذواق وذلك مبالغة في التعبير عما يشعر به الشاعر من اغتراب مكاني، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الرمل}**

لُذت بالسجن بقلب بهـــــج مرحبا بالضيق دون الفرجِ
ههنا داري وأهلي وهمـــــا كل ما أرجو ليوم الحـرجِ[1]

وقد برع (الديب) فى ترجمته الشعرية عن مرارة شعوره بالاغتراب المكاني، إذ عبر عن دخوله السجن بلفظ (لُذت) لما فى ذلك من دلالة على شدة الشعور بالوحشة وعدم الانسجام أو الألفة مع الفضاء الخارج عن حدود زنزانة السجن، حيث راح يفر إليه هربًا من وحشة المكان المحيط به عبر الالتجاء إليه دون غيره من الأماكن، ويتعمق في خلجاته الوجدانية فينقل للمتلقي مشاعره القلبية تجاه فراره نحو السجن والتجائه إليه هربًا من وحشة البيئة التى يحياها فيها، فقال: (لُذت بالسجن بقلب بهج) وفى هذا دلالة على شدة سروره وسعادته حالة إقباله على السجن ودخوله فيه وهذا بدوره يؤكد على مرارة شعوره بالغربة المكانية، ولم يكتف شاعرنا بهذا البث الوجداني المعبر عن مشاعره القلبية، بل انتقل بعد ذلك للترجمة القولية المؤكدة لتلك السعادة الناجمة عن دخوله السجن، فقال: (مرحبا بالضيق دون الفرج) وفى ذلك دلالة على مدى إلحاحه فى التأكيد على فكرته وفلسفته التى يعي أنها قد تتعارض مع ذهن المتلقي، فليس من العقلي أن يفر الإنسان من موطن الحرية إلى موطن الذل والهوان، إذ راح ينتقل من الدلالة على شعوره بالاغتراب المكاني إلى الدلالة على شعوره بالاغتراب الاجتماعي، فبين أن في السجن يجد داره ويعثر على أهله، فقال: (ههنا داري

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص١٣٥.

وأهلي) وهذا بدوره يؤكد على أن شعوره بالغربة الاجتماعية – داخل مجتمعه المحيط به جراء وحدته الناتجة عن انعدام الأهل والأحباب– قد ساقته إلى الشعور بمرارة الاغتراب المكاني إذ راح يلوذ بالسجن رغبة منه في الخلاص من تلك الغربة المكانية.

(ب) السهولة والألفة:

إن المتأمل للنتاج الشعري المعبر عن المدونة الشعرية الاغترابية لـ(عبد الحميد الديب) يجد أن معجمها اللفظي يتضمن ألفاظًا لم يكن يدل مدلولها اللغوي في دقة وإيحاء على جوهر الاتجاه الاغترابي فحسب، بل بدا بالإضافة إلى ذلك فيما يتسم به ألفاظه بالسهولة والألفة، بحيث لا يحتاج الذوق إلى عناء فى البحث عن معناها، لأن السهولة اللفظية يقصد بها" أن لا تكون الكلمة مكونة من حروف متنافرة يصعب على اللسان النطق بها...أما الألفة اللفظية فيقصد بها أن تكون استجابة السامع للشاعر سريعة، لا يحول بينها أن تكون الكلمة غير واضحة المعنى تحتاج إلى بحث وتنقيب ليفهم السامع ماذا يريد الشاعر أن يقول"[١]، والمتأمل فى النتاج الشعري المعبر عن المشاعر الاغترابية فى المدونة الشعرية لـ (عبد الحميد الديب) يجد أنها قد وضعت فى قالب لفظي متسم بالسهولة والألفة، لأنها تعبير صادق عما يعانيه من مرارة شعور وجداني بالاغتراب، فخلت ألفاظه من التكلف والغرابة والوحشية، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الطويل}**

نهاري إما نومة بين مسجد غرارا وإما بالطريق تسكعُ
وأطوي عصيّ الليل فى القر ساعيا ومن أين للأفاق فى الكون مهجعُ
أصلي بأذكار المرائي وقلبه وبئست صلاة يحتويها التصنعُ[٢]

فلقد أراد الشاعر أن يعبر عن شعوره بالاغتراب الزماني فأتى بمفردات زمانية وبث من خلالها ما يعانيه فيها من شقاء جسد مرارة شعوره النفسي بالاغتراب في تلك الأوقات، إذ وصف غربته فى نهاره فقال: (نهاري– نومة... غرارا– تسكع)، ووصف غربته فى ليله فقال: (أطوي – الليل– القر– ساعيا) فبدت هذه الألفاظ معبرة عن غربته الزمانية في سهولة وألفة، حيث ألفها ذهن المتلقي ووعى ما ترمي إليه من معانٍ دون حاجة إلى تنقيب وبحث عن مضمونها اللغوي فى بطون المعاجم، أضف إلى ذلك ما تتسم به من سهولة ورشاقة وعذوبة نابعة من عدم اشتمالها على عيب من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة كتنافر الحروف أو غيره من باقي العيوب، وتظهر القيمة الفنية لهذه الألفاظ وما تتسم به من ألفة وسهولة فى الدلالة على انسيابية وغزارة مشاعر الأسى والحزن النابعة من إحساسه المرير بالتشرد المعبر عن غربته الزمانية.

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص٤٥٧ وما بعدها (بتصرف).

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٥٤.

ومن الجدير بالذكر أن المعجم الشعري المعبر عن مشاعر (الديب) الاغترابية، قد اتسمت ألفاظه بالسهولة والألفة التى قد انحدرت فى قليل من الأحيان إلى النثرية والركاكة، حيث خلوها من الروح الشعرية ومما يؤكد ذلك قوله: **{من الرمل}**

رب لا نشكو فكم من مـــــحـــن لم نجـــد فى كربها من فـــــرجِ

قد فضضنا ســـــترها فانكشفت من يُرح فى هجرة الهـــم يَـــــجِ[1]

فلقد أجاد الشاعر عندما عبر عن شعوره بالاغتراب النفسي من خلال تلك المفردات اللفظية: (محن– كربها– الهم) التى بدت حروفها سالمة من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة، كما بدت مألوفة لذهن التلقي، فدلت على صدق معاناته ومرارة شعوره الوجداني بالأسى والحزن النابع من غزارة همومه وأحزانه، ولكن انحدرت بعض الألفاظ المعبرة عن تلك المشاعر الاغترابية إلى درجة النثرية، حيث قال: (يُرح– يَج) وذلك تأثرًا بروح العصر الذي عاش فيه والبيئة التى نشأ فيها، ثم استجابة لحالته الوجدانية الشجية التى جعلت مشاعره تفيض فى غزارة وانسيابية دون تأنق للألفاظ وتدقيق لها يخرجها من دائرة الطبع وانسيابية عالم اللاوعي المقتضي لتدفق الألفاظ في انسيابية عاطفية دون تكلف.

(جـ) الاقتباس:

الاقتباس "ضرب من ضروب علم البديع، وهو نوعان، وهما: الاقتباس النصي، وفيه يلتزم الشاعر بلفظ النص القرآني، وتركيبه، والاقتباس الإشاري، وهو أن يأخذ الشاعر من القرآن الكريم ما يشير به إلى آية أو آيات منه، من غير الالتزام بلفظها وتركيبها"[2]، وقيل إنه "أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[3]، وبمطالعتي للشواهد الشعرية المعبرة عن النزعة الاغترابية عند (عبد الحميد الديب) وجدت أن الاقتباس فيها قد انحصر فحسب على الاقتباس الإشاري من القرآن الكريم، ومما يؤكد ذلك قوله:**{من الوافر}**

تفيض لي الصخور أسى وعطفا ويغفل محنتـــــــي قومـــــــــي وآلي[4]

---

(١) السابق نفسه، ص ١٣٦.

(٢) الاقتباس من القرآن الكريم فى الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، ص ١٣، ط منشورات دار النمير للنشر والتوزيع–سوريا– الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦م.

(٣) بغية الإيضاح، لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ٦٨٨/٤، ط مكتبة الآداب– القاهرة– الطبعة السابعة عشر عام ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

(٤) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٥٠.

فلقد اقتبس الشاعر المعنى الذي يشير إلى أن قومه قد قست قلوبهم عليه فباتت أشد قسوة من الحجارة، إذ فاضت الحجارة لمحنته ومعاناته أسى وعطفًا فى حين أن قلوبهم لم ترق لمأساته، من قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُم...)[١] وبذلك فقد استطاع أن يوظف هذا الاقتباس الإشاري توظيفا جيدًا، حيث دل على حالة الشجن والأسى الطاغية على وجدانه جراء مجافاة قومه له وغفلتهم عما يعانيه من بؤس وشقاء، وفي هذا دلالة على تعمق الشعور بالاغتراب الاجتماعي لديه نتيجة لاتساع الفجوة بينه وبين قومه وبُعدهم عنه.

هذا، ولقد كان لقصص الأنبياء الوارد فى القرآن الكريم حضور بارز فى تلك المدونة الاغترابية، وذلك لما تحمله من رمزية أشارت لما يعانيه (الديب) من اغتراب نفسي واجتماعي ومكاني وزماني تجسد فى علاقة الأنبياء بقومهم، إذ عبر عن حالة النبذ التى تعتريه من المجتمع بالإشارة إلى قصة سيدنا صالح –عليه السلام–، فقال: **{من مجزوء الرمل}**

ما لقومـــي قد أطالوا عهد تبريحي وحزني
قدروا (أحمر عـاد)[٢] عاقر الناقة خدنـــي
كلما أبـــــــدع خلقا أنقصوا منه ومنـــي
واســـــترابوا بشـــقائي وادعوا أني وأنـــي[٣]

استفتح الشاعر أبياته بما يعبر عن اغترابه الاجتماعي، إذ راح يصرخ متسائلا في تعجب من أمر قومه وما يضمرونه له من بغض، فبَيَّن أن المجتمع المحيط به يبدو حاقدًا عليه مبغضًا له وكأنه خليل لقاتل ناقة النبي صالح –عليه السلام– وتلك فلسفة ديبية جسدت للمتلقي براعته الشعرية فى نقله للشعور النفسي والوجداني لأفراد المجتمع المحيطين به بالإضافة إلى التعبير عن مدى الظلم والجور الذى يتعرض له من جانب قومه الذين راحوا يلصقون به التهم معلنين ريبتهم من فاقته ورقة حاله!

إن إشارة (الديب) إلى قصص الأنبياء فى القرآن الكريم ليست فحسب مقصورة على حالة النبذ الاجتماعي التى حاكت ما عليه موقف المجتمع من بعض الأنبياء، بل بدت في التأكيد على الاعتداد بالذات وشعوره بالتفرد بين أفراد مجتمعه، حيث راح يشير إلى قصة سيدنا يوسف –عليه

---

(١) سورة البقرة الأية (٧٤).

(٢) "هو قُدار بن سالف، عقر ناقة صالح، فنزل بأهله العذاب، وإنما هو أحمر ثمود، وقال بعضهم: قالوه على وجه الغلط، وقيل العرب تسمي ثمود عادًا الأخرى وقوم هودٍ هم عادٌ الأولى..." جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش،٥٥٨/١، ط دار الجيل –بيروت– الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٤٨.

السلام- حالة كونه فى السجن مبينا أنه قد حاكاه فى فطنته -عليه السلام- عندما كان بين السجناء مفسرًا لهم رؤاهم وأحلامهم، فقال: **{من الطويل}**

وإخوان سـجن قبحت من وجوههم همـــــــــــوم توالي دائما وخطوبُ
فمنظرهم أضحوكة كلباســـــــهـم ومخبـــــــــرهم فى الحادثات رهيبُ
لقد كنت فيهم يوسف الســـــــجن صالحا أفسر أحلاما لهم وأصيـــــبُ[١]

والمتأمل في تلك الحالة النفسية التى عليها (الديب) يتبين أنه نتيجة لما يعانيه داخل مجتمعه من نبذ وتهميش، تعمق لديه الشعور بالاغتراب النفسي، فرحل إلى عالم الشعر يرسم فيه صفاته الذاتية وخلاله المعنوية، في محاولة منه للبحث عن" تحقيق ذاته في عالمه الخاص بعيدا عن زيف المجتمع"[٢] ومحاولاته المضنية في التهميش وعدم الاعتراف بمنزلته ومكانته، الأمر الذي جعله يقدح زناد شاعريته مفصحًا عن منزلته ومكانته الشاعرية، إذ اتخذ من شخصية سيدنا يوسف -عليه السلام- حالة كونه بين السجناء، سبيلا للتعبير عما يعانيه بين مجتمعه من تفرد بالصلاح والفطنة والذكاء، فقال: (كنت فيهم يوسف السجن صالحا أفسر...) وفي هذا دلالة على مرارة شعوره بالاغتراب النفسي.

(د) التضمين: وفيه" يضمن البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت"[٣]، أو " أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت... أو معنًى مجردًا من كلام أو مثل..." [٤]، ومهما يكن فلقد اتخذ الشاعر من المدلول الفني للتضمين سبيلا للتعبير عن مشاعره الاغترابية، فقال: **{من الرمل}**

كل يوم فريـــــــــة من مـــــــلأ إن فى برديك إبليـــــــس اللعينْ
والذي أجـــــرى على المحل الندى ضن أن يسقيك من كدر وطينْ[٥]

فلقد ضمن (عبد الحميد الديب) نصف الشطر الثاني من البيت الثاني قول عمرو بن كلثوم:**{من الوافر}**

ونشـــــرب إن وردنا الماء صفـــوا ويشـــــــــرب غيرُنا كـــــــــدرا وطيـــــنا[٦]

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٣٤ .

(٢) الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي، ص ٥٠.

(٣) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، أحمد بن على القلقشندي، ٣٢٤/١، ط دار الكتب العلمية -بيروت- (د.ت).

(٤) تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، ابن أبي الإصبع، ت.د/حفني محمد شرف، ١٤٠/١، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -سورية- (د.ت).

(٥) ديوان عبد الحميد الديب : ص٢١٠.

(٦) ديوان عمر بن كلثوم، جمع وشرح وتحقيق د/ إميل بديع يعقوب، ص٩٠، ط دار الكتاب العربي-بيروت- الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

استفتح (الديب) بيتيه بما يعبر عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي فقال: (كل يوم فرية من ملأ) وفي هذا دلالة على إلصاق الناس التهم الكاذبة به حتى ظن أن إبليس اللعين يسكن بردته، وبذلك فقد مهد للقيمة الفنية للتضمين الذي أورده، إذ بدت في التأكيد على مشاعره الاغترابية النابعة من بغض المجتمع ونبذه له وغفلته عما يعانيه من بؤس وفاقة حتى كدرت معيشته وأظلمت دنياه دون أن تُمد له يد العون.

ولم يكن هذا فحسب فقد يستعين (الديب) بالتضمين رغبة منه فى التأكيد على غربته النفسية والزمانية، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من البسيط}**

عيـــد يطالعني والعيش منكود لأنت يوم الأسى والحزن يا عيـــــــــدُ

يجدد الناس من لبس ومن فـرح وعندنا للأســـى والهم تجـــــــــديدُ[١]

الذى يعد تضمينا إشارية لقول المتنبي : **{من البسيط}**

عيد بأية حـال عدت يا عيـــد بما مضى أم بأمر فيك تجـــــــــديد[٢]

وتبدو القيمة الفنية لهذا التضمين في التأكيد على المشاعر الاغترابية التى أراد (الديب) البوح بها والتى بدت فى شعوره المرير بالاغتراب النفسي المقرون بالاغتراب الزماني، حيث سيطرت مشاعر الحزن والأسى على وجدانه في يوم العيد، فتباينت مشاعره الوجدانية واختلف مظهره الخارجي عن مشاعر المجتمع المحيط به ومظاهر أفراده، إذ جرت عادت الناس أن يسعدوا في يوم العيد ويرتدوا القشيب من الأردية، ولكن نظرًا لما يعانيه من إحساس بالبؤس والفاقة ارتدي البالي من الأردية، فتعمق لديه الشعور بالاغتراب النفسي وأصيب بالحزن والأسى، فانتقل من الغربة النفسية إلى الغربة الزمانية باعتبار أن الاغتراب النفسي مَهْدُ الشعور المرير بالاغتراب في شتى اتجاهاته، فشعر بأن العيد لم يأتِ إلا لتجديد الأحزان والهموم، نتيجة لما يعانيه من بؤس.

ثانيًا: الأسلوب:

الأسلوب هو نظم يضم فى نسيجه الفني ألفاظًا صيغت في بنية تركيبية متفقة مع قواعد الصياغة العربية بشتى علومها اللغوية لنقل ما يجول فى وجدان الكاتب وذهنه وذلك بهدف التأثير فى المتلقي، لأنه" طريقة يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين بها عما يجول فى نفسه من العواطف والانفعالات"[٣]، ومهما يكن فلقد رَصدت الظواهر التركيبية الأسلوبية التى صاغ فيها (الديب) تجربته الاغترابية بشتى اتجاهاتها فوجدتها متخذة من الأسلوب الإنشائي بشقيه الطلبي وغير

(١) ديوان عبد الحميد الديب : ص ٤٠٤.

(٢) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي،١٣٩/٢، ط دار الكتاب العربي-بيروت-عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ٤١٥.

الطلبي، سبيلًا للتعبير عما يعانيه من صرخات اغترابية جسدت للمتلقي البواعث الكامنة وراء تلك النزعة الاغترابية، ومما يؤكد ذلك أن أسلوبًا كالاستفهام راح يُعبر من خلاله عن شعوره المرير بالاغتراب النفسي النابع مما يعانيه من بؤس وشقاء، رغم ما يتحلى به من نبوغ فكري وأدبي تجسد فى شاعريته المفرطة، فقال: **{من الطويل}**

أأبكي وشعري بين قومـــي يغرد وأفنى وذكري فى الوجود مخلدُ؟
وأشقى شقاء الربع جانبـه الحيا وفى الكون آلاف بعلمي تسـعدُ؟
فيالك من دنيا شربنا بها الأسـى وما للهنا مهما نحاول مـــــوردُ
ويارب ما يومي وأين منيتـــــي أما ليَ حتى فى المنية موعدُ؟(١)

والمتأمل للاستفهام فى قوله: (أأبكي...وأفنى...وأشقى...) يجد أنه ترجمة نفسية لحالة التمزق الوجداني والاضطراب والحيرة الفكرية التى يعاني منها (الديب) نتيجة للاامعيارية الاجتماعية وتهاوي الفكر فى المجتمع، حيث بدا نصيبه البكاء والفناء والشقاء، رغم شاعريته التى جعلت من شعره ألحانا تُغرد بين الناس فسعدوا بتلاوتها، وسَمِعها الآلاف منهم فأصبح ذكره حديثا يروى بينهم تمجيدًا له، في حين أنه بات باكيا عاجزا شاعرًا بالفناء، نتيجة لما يعانيه من يأس وشقاء، وفى ذلك تقرير منه عن حالة الانفصام المجتمعي والشيزوفرينيا الاجتماعية التى عاش فى كنفها، حيث الثنائية المجتمعية المتناقضة المتجسدة فى استمتاع أفراد المجتمع بنبوغه واعترافهم بشاعريته، ثم تركهم له يعاني البؤس والشقاء دون أن يدفعوا عنه غائلة البؤس والشقاء، ونتيجة لذلك راح يصرخ صرخته الاغترابية متخذًا من أسلوب النداء سبيلًا للتعبير عن الحسرة والتوجع والألم الوجداني، فقال: (فيالك من دنيا شربنا بها الأسى وما للهنا ...مورد) الدال على دوام حزنه وشقائه وتجرعه الدائم للمعاناة دون أن يرد حوض الفرح والسعادة، وتتنامي حينئذ لديه مشاعر الأسى ويتعمق الشعور لديه بالاغتراب فيتوجه بالنداء لله –عز وجل– فقال: (يارب ما يومي وأين منيتي؟)، وفي هذا تجسيد تام لجل معالم الشعور النفسي باليأس والأسى والحزن، إذ راح يناجي الله –عز وجل– في سؤال عن موعد منيته ورحيله عن دنيا البؤس والشقاء. وينفعل الشاعر انفعالا اغترابيًا تارة أخرى، فيتخذ من القالب الفني للتمني سبيلًا للتعبير عن إحساسه المرير بالاغتراب، إذ اتخذ من القيمة الفنية له سبيلًا يبرهن من خلاله على شعوره المرير بالعجز والإخفاق في تحقيق الآمال وإن بدت ساذجة، فقال: **{من مجزوء الكامل}**

ثوبي لو أني قد كسـيـــــــ ـــــــت ســواك من صوف رداء
فوجدته كِنـــــــــــــــي إذا بكّرت فى برد الهـــــــــــواء

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٤٦.

وشـــــعرت أن الدفء فيـــــ ـــــــــــهِ لقلت أنعم بالكســـاء
لكن محنتك الكئيـــــــــــ ـــبـــةَ وقتها كيســـــي خلاء
لم أمتلك غير الضـــــرو ري وحســـــبي مـــــن غناء
وأخـــــــــــال أني بعده ســـــــــــأكون رأس الفقراء(١)

استفتح (الديب) بيته بمحاورة ثوبه فقال: (ثوبي) الدال على سمو منزلة هذا الرداء في وجدانه، ثم ختم حديثه عنه بما يؤكد ذلك الإحساس فقال: (وأخال أني بعده ... رأس الفقراء) مما يؤكد عدم امتلاكه لغيره، وفي هذا تجسيد صادق لمرارة شعوره بالبؤس.

ولكن لم يلبث حتى تخلل ذلك الإحساس أسلوب التمني فقال: (ثوبي لو أني قد كسيت سواك...)، وبذلك فقد برع في توظيفه للمدلول الفني لأسلوب التمني، حيث عكس ذلك شدة وطأة البرد عليه فرحل من خلاله متمنيًا أن يُبدل ثوبه البالي برداء من الصوف حتى يقي جسده من برودة ليل الشتاء، ولكنه لم يلبث حتى اصطدم بواقعه البائس، فقال: (لكن ... كيسي خلاء- لم أمتلك غير الضروري) الدال على شدة بؤسه وفاقته، لعدم امتلاكه من المال إلا ما يكفيه ضروريات الحياة التى قد تجسدت في ردائه البالي، وتبدو القيمة الفنية لأسلوب التمني في الدلالة على حالة الحسرة والألم النابعة من شعوره المرير بالبؤس المبرهن على شعوره بالاغتراب.

ويخفق (الديب) كعادته في أمنياته، فتتعمق في وجدانه مرارة الشعور بالاغتراب حتى يصاب باليأس، والعجز، والاستسلام، والخضوع، فيتخذ من أسلوب الدعاء سبيلًا للتعبير عن شعوره المرير بالاغتراب، فقال:

{من الطويل} جـــوارك يا ربي لمثلي رحمـــــة فخذني إلى النيران لا جنة الخلدِ! (٢)

جسد أسلوب الدعاء في هذا البيت جل معاني الشعور النفسي باليأس، حيث راح يدعو الله -عز وجل- أن يقبض روحه قارنًا منيته بالرحمة حتى وإن كان مثواه النيران لا جنة الخلد، علَّه يجد في ذلك الخلاص مما يعانيه من مرارة شعور نفسي بالاغتراب.

إن الظواهر التركيبية الأسلوبية التى صاغ فيها (الديب) تجربته الاغترابية بشتى اتجاهاتها، لم تبد فحسب مقصورة على الأسلوب الإنشائي، بل تعدت إلى الأسلوب الخبري المتخذ من الإخبار عبر تلك الصرخات الاغترابية سبيلًا للبوح بجل المشاعر الاغترابية التى لطالما عانى من قسوتها، فقال:**{من الوافر}**

قتلتُ أبا الخليــقة إي وربـــــــي! فعاداني الورى من كل جنسِ

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٣٠ وما بعدها .

(٢) السابق نفسه، ص ١٣٨.

وقالوا سادر ورضيع كـــــــــــأس وما قالوا ســوى إفك ودس[١]

فلقد اتخذ الشاعر من القالب الفني لأسلوب القسم المتجسد فى قوله: (قتلت أبا الخليقة إي وربي!) سبيلًا للتعبير عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي، حيث حالة النبذ والإقصاء والبغض الاجتماعي التى تنتاب الناس تجاهه، إذ راحوا يضمرون له العداء فوسموه بالعديد من التهم الواهية حتى ظن أنه قد قتل أباهم جميعًا فاستدعى ذلك منهم هذا العداء، وللقاريء أن يتأمل براعته في تعبيره عن البغض الاجتماعي المتجسد في قوله: (فعاداني الورى من كل جنس) الدال على شمول العداء الورى بجميع أجناسهم، وفي هذا دلالة على شعوره المرير بالاغتراب الاجتماعي أضف إلى ذلك قوله: (وقالوا سادر ورضيع كأس) الدال على اتهام المجتمع له بالفسوق والفجور، ونتيجة لذلك راح يصرخ قائلًا: (وما قالوا سوى إفك ودس)، وفى هذا تأكيد على مشاعر الحزن والأسى الملقية بظلالها على وجدانه نتيجة لتلك الافتراءات الكاذبة.

وقد يتخذ (الديب) من الإخبار بالجملة الاسمية سبيلًا للتعبير عما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب النفسي فقال: **{من البسيط}**

أنا الذبيـــح مدى عمري ومن عجب أني حرمـــــت بحظي كل إشـــــفاقِ[٢]

والمتأمل في هذا البيت يجد أنه تعبير صادق عن مشاعر الألم الممزوج بالأسى والحزن، حيث اتخذ (الديب) من القالب الفني للجملة الاسمية ومدلولها اللغوي المبرهن على الدوام والاستمرارية سبيلًا للإخبار عن مرارة الشعور النفسي بالاغتراب لديه، فقال: (أنا الذبيح) ولم يكتف بالمدلول الأدبي للجملة الاسمية بل أكده تارة أخرى، فقال: (مدى عمري ... أني حرمت بحظي كل إشفاق)، وفى هذا دلالة على دوام العناء والشقاء النابع من جحود المجتمع ومجافاته له دون الرثاء لما يعانيه من شقاء وبؤس، وبذلك فقد انتقل من خلال الإخبار بالجملة الاسمية من التعبير عن الاغتراب النفسي إلى التعبير عن الاغتراب الاجتماعي في براعة شعرية تبرهن على أن الأول نتيجة للثاني.

وليس معنى ذلك أن إخبار (الديب) عما يعانيه من اغتراب قد اقتصر على ذلك فحسب فلقد اتخذ من الجملة الفعلية[٣] وأسلوب الشرط [٤]وأسلوب القصر [٥] سبيلا للتعبير عن معاناته الاغترابية.

---

(١) السابق نفسه، ص٢٧٨.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٧٤.

(٣) السابق نفسه، ص ٣٠١.

(٤) السابق نفسه، ص ١٠١.

(٥) السابق نفسه، ص ٢١٢.

المبحث الثاني: الصوة الشعرية:

الصورة الشعرية جوهر الشعر ولبه، وأداة بارزة من أدوات الصياغة الشعرية، إذ تعمل على نقل الأحاسيس القلبية من وجدان الأديب إلى المتلقي عَبْرَ الخيال الشعري المنسجم مع العاطفة الجياشة، وجودة السبك القائمة على الانسجام بين اللفظ والمعنى داخل النسيج الأدبي، بغرض التأثير على القاريء، لأنها" فى حقيقة الأمر عدول عن صيغ إحالية من القول إلى صيغ إيحائية تأخذ مدياتها التعبيرية في تضاعيف الخطاب الأدبي...ومن ثم يمنح النص هويته التى تتجدد دائمًا مع كل قراءة"(١) فتتشكل فيه النزعة الإيحائية التى تمنحه الخلود والتأثير، نتيجة لترجمة الخيال الشعري فيه عن النزعات والمشاعر النفسية التى يعاني منها وجدان الأديب حالة نظمه الأدبي.

هذا، ولقد بدت الصورة الشعرية المعبرة عن ظاهرة الاغترابية عند (عبد الحميد الديب) متجسدة فى **الصورة** المستمدة من الحواس، تلك الصورة التى لم يغفل النقد العربي القديم عن الإشارة إلى دورها في تشكيل الصورة الأدبية، ومما يؤكد ذلك إشارة (ابن طباطبا العلوي) إلى الصورة البصرية والصورة السمعية في قوله: "والتشبيهات على ضروب مختلفة؛ فمنها: تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركةً وبطئًا وسرعةً، ومنها تشبيهه به لونًا ومنها تشبيهه به صوتًا وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض..."(٢)، ولم يكن هذا فحسب فلقد أشار (عبد القاهر الجرجاني) إلى الصورة السمعية والمذاقية واللمسية والشمية، فقال: "كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج...وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر، وتشبيه اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح أو رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور"(٣)، ومن الجدير بالذكر أن (الديب) قد فطن للقيمة الفنية، بل والرمزية لتلك الصورة المستمدة من الحواس فامتطى سرجها حالة تعبيره عن شعوره النفسي بالاغتراب، مما أسبغ على النتاج الشعري المعبر عن تلك المشاعر، الحيوية التى تجعل المتلقي وكأنه يشعر بحواسه المعنى الذي يريد الشاعر الإفصاح عنه، فيبدو المتلقي وكأنه يتذوق، ويلمس، ويسمع، ويرى، ويشم كل ما يعانيه الشاعر من أحاسيس وجدانية بالاغتراب، وذلك

---

(١) الصورة الشعرية فى النقد العربي الحديث، د/بشرى موسى صالح، ص٣، ط المركز الثقافي العربي-بيروت- الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.

(٢) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ت/عباس عبد الستار، مراجعة/ نعيم زرزور، ص٢٣، ط دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ- ١٩٨٢م.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت/محمد عبد المنعم خفاجى، ص١٤٤ وما بعدها، ط مكتبة الإيمان – المنصورة- (د.ت).

لما في تلك الصورة المستمدة من الحواس من مقدرة فنية على تشكيل المشاعر في صورة مدركة بالحواس الخمس لتقريبها وإبرازها جلية إلى ذهن المتلقي، ومهما يكن فلقد بدت الصورة المستمدة من الحواس والمجسدة للمشاعر الاغترابية لـ (عبد الحميد الديب) على النحو التالي:

١-الصورة البصرية:

تُعد حاسة البصر من أهم السبل التى اتبعها الخيال الشعري لـ (عبد الحميد الديب) في التعبير عمَّا يعانيه من مشاعر اغترابية، حيث اتخذ من الصورة اللونية سبيلًا للتعبير عن تلك الصورة البصرية، رغبة منه في التأثير في المتلقي واستدعاء لانتباهه، لأن"ألوان الأشياء وأشكالها هى المظاهر الحسية التى تحدث توترًا في الأعصاب وحركة فى المشاعر، إنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها..."[(١)] ونتيجة لذلك التفاوت اقتصر حديثه في مقام تلك الصورة اللونية على اللونين الأبيض والأسود ودلالاتهما الرمزية المعبرة عن المشاعر الاغترابية الكامنة في وجدانه، فاحتل اللون الأسود المرتبة الأولى في التعبير عن تلك المشاعر، وبات هذا اللون رمزًا لما يعانيه من بغض اجتماعي يفوح بألم إحساسه الأليم بنبذ المجتمع وإقصائه له، فقال:**{من البسيط}**

شماتة العاذلين السـود تلفحني فى كل مضطرب للصـــــوت والحاكي[(٢)]

فلقد برع الشاعر في توظيفه للون الأسود وما يبوح به من دلالات رمزية ترسخت فى النفس البشرية حال قوله: (شماتة العاذلين السود) المترجم عن شعور بالاغتراب الاجتماعي، نتيجة لما يعانيه من بغض اجتماعي تجلى في كثرة الشامتين ممن يضمرون له الشر والحقد والبغض في أفراد المجتمع المحيطين به، مما أصابه بحالة من الحزن والأسى أخذته إلى غربة اجتماعية عميقة عَبَّرَ عنها بقوله: (تلفحني) الدال على محاكاة الشر الكامن في نفوس العاذلين للهيب النيران الذي ظل يلفحه فى كل وقت وحين.

إن دلالة اللون الأسود في المدونة الاغترابية لـ (عبد الحميد الديب) لم تقتصر فحسب على البوح بما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب الاجتماعي، بل تعدت إلى التعبير عن تعمق الشعور بالاغتراب المكاني لديه، ومما يبرهن على ذلك قوله: **{من الطويل}**

ولي غرفةٌ كالقبر لم تحو أرضهـا ســـــــــواي أثاثا كالهباء قديما! [(٣)]

---

(١) الشعر العربي المعاصر المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، ص١٢٩وما بعدها، ط دار الكتاب العربي-القاهرة- ، عام١٩٦٧م.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٧٧.

(٣) السابق نفسه، ص ٤٤٩.

وتبدو الصورة اللونية المتخذة من إيحاء اللون الأسود ودلالته الرمزية سبيلًا لها، متجسدة، فى قوله: (لي غرفة كالقبر) وفي هذا دلالة على ما تتسم به تلك الغرفة الديبية من ظلمة حاكت في سوادها ظلمة القبر التى باتت دليلًا على ما يعانيه تجاهها من شعور مرير بالوحشة المحاكية لوحشة القبر النابعة من ظلمته، فدل ذلك على إحساسه بالاغتراب المكاني داخل غرفته، ثم انتقل من ظلمتها المحاكية لظلمة القبر إلى التعبير عن خلائها من الأثاث إلا البالي منه فقال: (لم تحو...أثاثا...) الدال على ما يعانيه فى تلك الغرفة المظلمة من اغتراب نفسي نبع من شعوره فيها بالبؤس والفقر المتجسد فى عدم قدرته على توفير أبسط احتياجاته داخل غرفته، مما يؤكد شدة عجزه أمام سلطان البؤس الجائر.

ولم يكن هذا فحسب، فلقد احتل اللون الأبيض المرتبة الثانية في تلك المدونة الاغترابية للديب، غير أن هذا اللون جرت العادة فيه أن يبوح بجل معاني النقاء والصفاء والبِشر، إلا أنه قد بات في مقام بث (الديب) عما يعانيه من شعور بالاغتراب، دليلًا على ما تنفُر منه النفوس من أمراض جسدت حقارة مكانته الاجتماعية فقال:-عندما تقلد وظيفة وضيعة وهنأه أصدقاؤه بها- **{من الوافر}**

خجلت من التهاني إي وربـــي أيهنئني على برصي البياضُ؟
ولم يقنع بعظم الشـــــــاة ليث وقد سبح الذئاب بها وخاضُوا[١]

لقد جسدت تلك الصورة اللونية البادية في قوله: (برصي البياض) شعوره النفسي بالأسى والحزن النابع من إحساسه بحقارة الوظيفة التى تقلدها، رغم ما يتسم به من نبوغ أدبي وموهبة شعرية، وما ترتب عليها من تهنئة بعض أصدقائه له، حيث وصفها بأنها بيضاء اللون ولكن بياض مرض لا صحة وبياض حزن لا سرور، وفى هذا دلالة على شعوره المرير بالاغتراب النفسي النابع من حالة الصراع النفسي لديه بين واقعه الأليم المتناقض مع ما يطمح إليه من مأمول لم يصبه نتيجة للإخفاق فى تحقيقه.

هذا، ولطالما ارتبطت الصورة اللونية المتجسدة فى دلالة وإيحاء ورمزية اللون الأبيض بالصورة اللونية المتخذة من دلالة اللون الأسود نمطا تعبيريا لها، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من البسيط}**

دنياي أنت لغيـــــري مُصْبِحٌ ألق وأنت طيلة عمري الليلُ والغسقُ[٢]

برع (الديب) في توظيفه لدلالة اللون الأبيض في تلك الصورة اللونية البادية فى الشطر الأول، والدالة على حياة الثراء والسعادة التى يحياها أفراد المجتمع المحيط به، أضف إلى ذلك إجادته في

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٥٧.

(٢) السابق نفسه، ص ٤٣٢.

توظيفه لدلالة اللون الأسود في تلك الصورة اللونية البادية في الشطر الثاني، والدالة على حياة الشقاء والبؤس والمعاناة التى يقبع أسيرًا لقيودها وأغلالها، وتبدو القيمة الفنية لتلك الصورة اللونية في التعبير عن صرخته الاغترابية المتجسدة في إحساسه الأليم بالتفرد بحياة الحرمان المقرونة بالأسى والحزن والشقاء دون غيره من أفراد المجتمع الذين تنعموا فى الثراء والسرور، وفى هذا دلالة على شعوره المرير بغربته النفسية العميقة.

ومن الجدير بالذكر أن الصورة اللونية لم تكن العتبة الوحيدة التى قربت المتلقي من المشاعر الاغترابية التى راح يبثها (الديب) من خلال الصورة البصرية، بل كانت (الصورة الحركية)[١] هى الأخرى سبيلًا للتعبير عما يعانيه من شعور نفسي بالاغتراب، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من البسيط}**

حملتـــها طعنات لو بواحـــــدة منها مُنِي (همـــــلايا) مال وانصدعا[٢]

وتبدو القيمة الفنية لتلك الصورة الحركية المتجسدة في قوله: (طعنات...منها...(همالايا) مال وانصدع) فى التعبير عن شدة وقع الهموم والمحن على وجدانه وعدم قدرته على تحملها لعظمها حيث بين أن الجبال العاتية تخر أمام قوة بطش تلك الهموم متصدعة متهدمة أركانها حال إصابتها لها، وقد جسدت تلك الصورة الحركية للجبال المتصدعة أركانها، معالم شعوره بالاغتراب النفسي النابع من كثرة الهموم والمحن التى تأخذ بوجدانه إلى غربة نفسية مريرة.

هذا، وقد جسدت حركية الدموع المنحدرة في غزارة واستمرارية من محاجر (الديب) فى يوم العيد، جل معاني الشعور الوجداني لديه بالاغتراب الزماني والنفسي والاجتماعي، فقال: **{من البسيط}**

الناس فى كل يوم بين عيـــــدهم ودمع عينـــــــــي بيوم العيـــــد مدرارا[٣]

وتبدو الدلالة الإيحائية لحركية الدموع في التعبير عن المشاعر الاغترابية التالية:

أولًا: شعوره بالاغتراب الزماني، حيث سيطرت مشاعر الحزن والأسى على وجدانه يوم العيد فتباينت مشاعره مع ما عليه مشاعر الناس حينئذ من سرور وبهجة.

ثانيًا: الشعور بالاغتراب النفسي، حيث كثرة الهموم والمحن الطاغية على وجدانه والمصيبة له بالحزن والأسى، إذ إن غربة الهموم والأحزان تُعد من أشد أنواع الشعور بالاغتراب.

ثالثًا: الشعور بالاغتراب الاجتماعي، حيث تفرده يوم العيد بالحزن والأسى دون غيره من أفراد المجتمع المحيط به.

---

(١) وقد أشار (عبد القاهر الجرجاني) إلى الصورة الحركية فى عنوانه "ومن عجيب ما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة" يراجع: أسرار البلاغة، ص ٢٢٥ وما بعدها.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٣٩.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب : ص ٤٥٢

٢-الصورة المذاقية:

وهي تلك الصورة المدركة بحاسة التذوق القائم على الطعم، إذ يخرج المدلول الوضعي للفظ الذي يعبر عنها من أصل وضعه اللغوي إلى دلالة الرمز والإيحاء، ونتيجة لذلك قد راح (الديب) يبث من خلالها ما يعانيه من مدلول اغترابي، فقال: **{من البسيط}**

مر الذي كان حلوا فى فمى ودجت فى الليل والصبح بين الكون أنوارُ
كأننا فى وعيـــــــــد الله تغمرنا حال من الخوف تُخشى دونه النارُ
فما تغيـــر شيء فى الوجود عدا نفـــــس يحطمها بؤس وأكدارُ!(١)

فلقد برع الشاعر في توظيف تلك الصورة المذاقية للدلالة على ما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب النفسي فقال: (مر الذي كان حلوًا في فمي)، وفي هذا دلالة على حالة اليأس الملقية بظلالها على وجدانه، حيث خرج لفظ (مر) من دلالته الوضعية إلى الإيحاء والرمز الموحي بأن كل ما يسر الشاعر تبدل، فأصبح يحمل في طياته الحزن والأسى حتى ظن أنه في يوم الوعيد تسيطر عليه مشاعر الخوف والفزع والجزع من نيران جهنم، ومما يؤكد ذلك صرخته الاغترابية: (نفس يحطمها بؤس وأكدار) الدال على شعوره المرير بالاغتراب النفسي النابع من حياة البؤس المقرونة بالهموم!

ولم يكن هذا فحسب فقد جسدت الصورة المذاقية إحساس (الديب) بالاغتراب الاجتماعي، إذ عكست ما يعانيه تجاه المجتمع من شعور مرير بالنبذ الممزوج بالبغض، فقال: **{من الطويل}**

إذا قلت مظلوم تقولون ظالـــم ويصبح مرا فى مذاقكمُ عذبـــــــي(٢)

وقد بدا ذلك جليًا في قوله: (يصبح مرًا فى مذاقكم عذبي) المعبر عن تلك الصورة المذاقية الموحية فى رمزية بما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب الاجتماعي النابع من شعوره ببغض المجتمع له، إذ تسيطر مشاعر الحزن علي أفراده حالة رؤيتهم له مسرورًا بما قد يدفع عنه غائلة البؤس والشقاء، حيث اتخذ من المدلول الرمزي للفظين: (مر، عذب)، سبيلًا للتعبير عن حالة التنافر الوجداني التى تتنافض فيه مشاعر (الديب) النفسية مع أحاسيس المجتمع الوجدانية تجاهه.

٣-الصورة اللمسية:

إن الصورة اللمسية المعبرة عن المشاعر الاغترابية لدى (عبد الحميد الديب) جسدت للمتلقي المعاناة الوجدانية الى أضرمت نيرانها في وجدانه، وذلك من خلال ما تبوح به من أثر يحاكي فى شدة وقعه وأثره ما يُشعر الإنسان بالألم الحسي المدرك بحاسة اللمس، فقال: **{من الرمل}**

إنما الناس عبـــــيـد فإذا قلت يا ســـــادة ظلوا صاغرينْ

---

(١) السابق نفسه، ص ٤١٣ وما بعدها.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤١٠.

كـــم فزعنا لنرى أو نرتجـــي أي وجه من وجوه العالميـــــنْ
فأرانا (الصل)[1] فى ألفاظـه لدغات مرســـــــلات للمنـونْ
ولمســـــــنا فيه نابا قاتلا تحته نزت أفاويــق الســـــنيـنْ
هات منها من ترجـى عونه لن ترى فيه غدا أي معيـــنْ[2]

استفتح الشاعر مقطوعته الشعرية بما يعبر عن مرارة شعوره بالاغتراب الاجتماعي النابع من انعزال المجتمع وعزوفه عنه وعدم الاستجابة له حالة طلبه العون، الأمر الذي ترتب عليه أن انفعل شعوريا، فنعت الناس جميعًا بالعبيد الصاغرين ذلا وهوانا، وهذا يقتضي إحاسه المرير بالغربة داخل مجتمع العبيد الذي اتسم بحقارة الخلال، ووضاعة الصفات، وتهاوي الأخلاق، ثم عبر عن الألم الوجداني الذي اعتراه نتيجة لما يعانيه من اغتراب اجتماعي، فاتخذ من الصورة اللمسية سبيلا للتعبير عن ذلك حالة طلبه العون من أفراد المجتمع المحيط به فقال: (فأرانا الصل فى ألفاظه لدغات... ولمسنا فيه نابا ...تحته نزت أفاويق السنين) الدال على محاكاة الأثر النفسي للألفاظ التى ساقها مَن فزع له (الديب) طالبًا منه العون، لأثر لدغات الحيات، ثم رشح صورته ببيانه أنه قد لمس في تلك الألفاظ نابًا سامًا يجعلها تحاكي الحيات القاتلة، وتبدو القيمة الفنية لتلك الصورة اللمسية في التعبير عن شدة وقع تلك الألفاظ على وجدانه، لما تحمله من إشارات بالنفور والذم والبغض الذي يقتضي عدم مد يد العون والغوث له وتركه يعاني البؤس والشقاء، مما كان له الأثر الأكبر في انتقاله نفسيًا من الشعور بالاغتراب الاجتماعي إلى الشعور بالاغتراب النفسي الذي تجسد فى قوله: (لن ترى...أي معين) الدال على شعوره المرير بالوحدة والانعزال.

إن الألم النفسي الذي جسدته الصورة اللمسية فى المدونة الاغترابية الديبية لم يقتصر على البوح الوجداني بالاغتراب النفسي والاجتماعي، بل تعدى للتعبير عن تعمق الشعور بالاغتراب الزماني لدى الديب، فقال: **{من الكامل}**

طلع الصباح على مجالي فضـة ومطارف من عســـــــجد تتألقُ
واستأنف الناس الحيـــاة فعامل جم النشـــــــاط وعاطل يتحـرقُ
وأنا أمام الله يــوم وعيـــــــده وحدي فجســـمي بالجحيم يمزقُ
أخلقتني يارب أم أنا واهـــــم؟ أنا مـــــا خلقت لأنني لا أرزقُ[3]

---

(١) الصل: "وأصل الصّلّ من الحَياتِ..." لسان العرب، ٣٨٥/١١.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢١١.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٣٦.

قد برع الشاعر في توظيفه للصورة اللمسية حالة تعبيره عن شعوره بالاغتراب الزماني، حيث قيد الصباح بمشاعر نفسية متباينة، فقال: (طلع الصباح...فعامل جم النشاط وعاطل يتحرق) الدال على أن في الصباح يبدو المجتمع المحيط به ينقسم إلى عامل نشيط يسعد بعمله، وآخر عاطل يحترق ألما، ثم راح يعبر في البيت الثالث عن شعوره المرير بالاغتراب الزماني، إذ بين أنه في الصباح تسيطر على مشاعره النفسية مشاعر الفزع والخوف المقرون بالإحساس بالألم حتى يخيل له أنه يقف أمام الله –عز وجل– للحساب يوم القيامة وحيدًا وقد بدت النار تلتهمه، وفى هذا دلالة على شدة وقع الزمان عليه، إذ فى كل صباح يقتضي منه السعي فى طلب الرزق وتلك معاناة يفزع ويتألم منها لشدة بؤسه وفاقته، ونتيجة لذلك تعمق الشعور النفسي لديه بالاغتراب الزماني فراح يصرخ مناجيا الله –عز وجل– في سؤال يعكس جل معاني الأسى والحزن قائلا: (أخلقتني يارب...؟ – أنا ما خلقت لأنني لم أرزق)، إذ يجيب على سؤاله في حسرة ممزوجة باليأس المعبر عن شعوره المرير بالاغتراب الزماني المقرون بالاغتراب النفسي، حيث سيطرت مشاعر اليأس عليه كل صباح.

٤–الصورة السمعية:

برع (الديب) فى توظيفه للصورة السمعية حال تعبيره عما يعانيه من مشاعر اغترابية، إذ اتخذها وسيلة يبث من خلالها أنينه المسموع عَلَّه يجد الخلاص مما يعانيه من مشاعر اغترابية، ومما يؤكد ذلك أن قسوة الزمن وسطوته قد ترسم في مطلع الشهر ولياليه معاناته الوجدانية عبر عجزه عن دفع كراء المنزل الذي يسكن فيه فيبيت طوال ليالي الشهر يعاني من جفاء المضجع مخافة أن يطرق الباب رب المنزل مطالبا إياه بالكراء ورصد لنا هذا المشهد الاغترابي، فقال:

{من الطويل}

ففي كل شـــهر لي عواء بموقـف يباعد عني أســـــرتي وصحابي
وطول ليالي الشهر يهتاج مضجعي مخافة رب البيـــت يطرق بابــي
يطالبني فى غلظة فأجيـــــــــبــه إجابة من يرجو يدا ويحـــــابي[١]

والمتأمل لتلك الأبيات يجد أن الشاعر قد آثر التعبير بصيغة الفعل المضارع (يباعد – يهتاج – يطالبني – يرجو – يحابي) فجسد ذلك استمرارية عجزه عن دفعه لكراء المنزل، وهذا بدوره يبرهن على شدة بؤسه، وشقائه، ودوام معاناته الاغترابية جراء ذلك، ولم يكن هذا فحسب فقد برع عندما جسد تلك المعاناة النفسية فى صورة مدركة بحاسة السمع فقال: (ففي كل شهر لي عواء) وفى هذا دلالة على محاكاة أنينه وصراخه حالة طلبه لمن يمد له يد العون بعواء (الذئب) حالة استغاثته

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٢٨.

ببني جلدته، وهذا بدوره يعبر عن مرارة شعوره النفسي بالاغتراب الزماني والنفسي، حيث عدم اقتران صراخه وأنينه النابع من البؤس بمطلع كل شهر فحسب، بل دوام هذا الصراخ والأنين طيلة ليالي الشعر، إذ يبدو دائم الوحدة والسهاد في أرق خوفا من رب المنزل أن يطالبه بالكراء، وبذلك فقد أخذته غربة الهموم داخل تلك الأوقات إلى غربة زمانية ونفسية عميقة.

إن براعة الشاعر في توظيفه للصورة السمعية لم تقتصر على هذا فحسب، بل تعدت إلى التعبير عن اغترابه النفسي والاجتماعي، فقال: **{من الطويل}**

ويأكل عرضي منهم كل حاســـــد له همة أخرى وحـــــــــظ مقدم
تصافحني أطراف أيد أثيمـــــــــة ولو قدروني بالقلوب لســـلمـــــوا
ألست شبيه الطير يشـــــدو مغردا لقوم ليسليهم ويذبح منـــــهـــم(١)

استفتح أبياته بالتعبير عن غربته الاجتماعية، فقال:(يأكل عرضي منهم كل حاسد- تصافحني أطراف أيد أثيمة) وفي هذا دلالة عن بغض المجتمع ونبذه له، حيث تمزيق الناس لعرضه والمكر به وخداعهم له، ونتيجة لذلك تنامى الشعور النفسي بالاغتراب لديه فراح يعتد بذاته من خلال تلك الصورة السمعية المتجسدة في قوله: (ألست شبيه الطير يشدو مغردا... ويذبح)، وفى هذا دلالة على ظلم المجتمع له وعدم تقديره لنبوغه الفكري والأدبي، حيث محاكاة بديع نظمه الشعري للحن الطائر المغرد الذي يكون مصيره الذبح والقتل!

٥-الصورة الشمية:

تعد الصورة الشمية من أهم المعطيات التى تشكل مادة الإبداع الفني المعبر عن الاغتراب في المدونة الشعرية لـ (عبد الحميد الديب)؛ إذ يشعر بغربته الاجتماعية داخل المجتمع القاهري الصادف عنه وعن نبوغه الفكري والأدبي، فيهرع إلى اعتداده بذاته مبينًا منزلته بين قومه وعشيرته في فلسفة اغترابية تعبر عن شعوره بالاغتراب النفسي النابع من شعوره المرير بالاغتراب الاجتماعي، فقال: **{من الطويل}**

إذا غبت عن قومي سعوا يبتغونني وإن كنت فيهـــــــم كنت ريحـــــانة الندى(٢)

وتبدو الصورة الشمية في قوله: (قومي...فيهم كنت ريحانة الندى) الدال على سمو منزلته فى وجدان أبناء قومه، حيث محاكاة طيب أخلاقه فيهم لطيب أريج الرياحين الندية الغضة.

هذا، وقد اتخذ (الديب) من الصورة الشمية سبيلًا يعبر من خلاله عن طهارة وجدانه، ونقاء أخلاقه فى مرحلة من حياته كان مدمنًا للخمر فقال:-مخاطبا محبوبته فاطمة- **{من الطويل}**

---

(١) السابق نفسه، ص ٤١٨.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٢٤٧ .

أفاطم إن الناس قد مزقوا عِرضـــي وصرت لعينا فى الســماء وفى الأرض

يقولون شمام وما شم معطســـــي سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض[١]

وموطن الصورة الشمية يبدو في البيت الثاني، حيث نفى عن معطسه شم (الكوكايين) وأثبت له شم الورد والنرجس. وتبدو القيمة الفنية لتلك الصورة الشمية في التعبير عن اعتداده بذاته المتخذة من شم الورد والنرجس سبيلا للتعبير عن طيب أخلاقه، وفي هذا دلالة على اغترابه النفسي، ولكن بالوقوف على تلك الصورة الشمية نجد أن لها أبعادًا نفسية متعمقة جذورها فى وجدانه، فلقد جسدت تلك الصورة الصراع النفسي لديه، حيث شعوره ببغض المجتمع الذي قرن بالبؤس، والشقاء، فتولد لديه شعور مرير بالاغتراب الاجتماعي، فرحل إلى إدمان (الكوكايين) وشمه، رغبة في الهروب مما يعانيه من بؤس وشقاء، ثم نعته المجتمع بتلك الخلة الحقيقية، إذ كان مدمنا للكوكايين بالفعل–قبل توبته قبيل موته–، ونتيجة لذلك أخذ يلح في نفي تلك الخلة الحقيقية ولكن "كاذبا فى دفاعه عن نفسه ولعل ما في هذه الأبيات من جمال يعود إلى صدق الإحساس الذي صدرت عنه وهو إحساس الشاعر بحاجته للدفاع عن نفسه وكرامته وسمعته"[٢] التى اتخذت من اعتداده بطيب أخلاقه سبيلًا للتعبير عن ذلك، وهذا بدوره يبرهن على غربته النفسية المتخذة من الاعتداد بالذات سبيلا للخلاص من مرارة الشعور بالاغتراب الاجتماعي.

(١) السابق نفسه، ص ٣٩٣.

(٢) عباقرة ومجانيين، ص ٢٨٩.

المبحث الثالث: البناء الموسيقي:

تعد موسيقى الشعر جوهر الشعور الوجداني للشاعر، إذ تترجم عما يجول في خاطره، فيتشكل إيقاعها الموسيقي بالمضمون النفسي الذي أُريد البوح به، لأنها لم تبد بـ "مجرد أصوات رنانة تروع الأذن، بل أصبحت توقيعات نفسية تنفذ إلى صميم المتلقي لتهز أعماقه في هدوء ورفق"(١)، ونتيجة لذلك أردت تسليط الضوء على الإيقاع الصوتي للنتاج الشعري المعبر عن النزعة الاغترابية لـ (عبد الحميد الديب) باعتباره ترجمة وجدانية لنفثاته القلبية، حتى أتمكن من التفسير النفسي الدقيق لتلك المشاعر الوجدانية المسيطرة على تلك النزعة الاغترابية له، وقد اتخذ البناء الموسيقي المعبر عن تلك الظاهرة في شعره سبيلين هما كالتالي:

أولا: الموسيقى الخارجية: وتتألف هذه الموسيقى من ركنين أساسيين هما كالتالي:

(أ) الوزن: إن الأصل في تشكيل البنية الموسيقية للشعر يرجع إلى الوزن، كما أنه مرآة للانفعالات النفسية للمشاعر، حيث ترجمته الدقيقة عما يجول فى وجدانه من انفعالات شعورية، وذلك من خلال تفعيلات البحر الشعري وما ينتابها من زحافات وعلل تُجسد النبض القلبي والنفثات الشعورية والنَّفس الشعري للشاعر، إذ هناك "صلة وثيقة بين نبض القلب وما يقوم به الجهاز الصوتي وقدرته على النطق بعدد من المقاطع"(٢) التى تعكس الانفعال النفسي والوجداني الذي إذا "ما حاولنا أداءه باللغة كان من الطبعي المحتوم أن تكون لغة ذات تقاسيم متزنة وعبارات مرددة هي هذه التفاعيل التى تكون البحور الشعرية المختلفة"(٣)، ومما يؤكد ذلك هذا الإحصاء:

- إحصائية البحور التامة:

م	البحر الشعري	عدد الشواهد الشعرية	النسبة المئوية
١	البسيط	٢٤	%٢٤
٢	الطويل	٢٢	%٢٢
٣	الكامل	١٥	%١٥
٤	الرمل، الوافر	(١١،١١) مكرر	%١١
٥	المتقارب	٤	%٤
٦	السريع	٣	%٣
	المجموع الكلي	٩٧	%١٠٠

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص٦٧.

(٢) موسيقى الشعر، د/إبراهيم أنيس،ص١٦٤، ط مكتبة الأنجلو المصرية، عام ٢٠١٠م.

(٣) أصول النقد الأدبي، د/ أحمد الشايب، ص٢٩٩، ط مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة عام ١٩٩٤م.

إحصائية مجزوءات البحور:

م	البحر الشعري	عدد الشواهد الشعرية	النسبة المئوية
١	مجزوء الرمل	٩	%٩
٢	مجزوء الكامل ومجزوء المجتث	(١٠١) مكرر	%١
	المجموع الكلي	٩٧	%١٠٠

ومن هذا الإحصاء يتبين الآتي:

أولًا: يمكن القول بأن النتاج الشعري المعبر عن النزعة الاغترابية في المدونة الشعرية لـ (عبد الحميد الديب)، يمثل الشكل التراثي للقصيدة العربية القديمة، من حيث عدم الخروج على البحور الخليلية بشكلها المألوف، والتى أتت على الترتيب المتفق مه النَّفَس الشعري والدفقات الشعورية للشاعر العربي القديم فكانت كالتالي: (البسيط–الطويل–الكامل–الرمل،الوافر–المتقارب–السريع) وفى هذا دلالة على أنه قد مال حالة تعبيره عن نزعته الاغترابية إلى البحور ذات الموسيقى الممتدة التى تمكنه من التعبير والبوح عما يجول فى وجدانه بسهولة ويسر، هذا وقد احتل بحر البسيط المرتبة الأولى بعدد (٢٤) شاهدًا شعريًّا بنسبة (٢٤%) وذلك، لأن تفعيلاته يغلب عليها "عنصر الحنين والتحسر"[(١)] مما يجعلها تتلاءم مع النزعة الاغترابية، ومما يعبر عن ذلك قوله:

ذَلَّتْ بِمِصْـرَ نُفُوْسُ النَّابِغِيْـنَ بِهَا فَكَمْ أُهِيْـنُوْا بِهَاْ مَوْتَىً وَأَحْـيَـــاْءَ[(٢)]

/٠//٠/ ٠/// ٠//٠/٠/ ٠/// //٠//٠ ٠//٠/ ٠//٠/٠/ ٠/٠/

مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ

أراد الشاعر التعبير عن مرارة الشعور الوجداني لديه بالاغتراب المكاني فاتخذ من شعوره بالوحشة تجاه وطنه (مصر) –حالة خضوعها للمستعمر البريطاني الغاشم حينئذ– سبيلًا للتعبير عن ذلك، إذ انتابته مشاعر اليأس المقرون بالحزن جراء غفلة الوطن المسلوب عن النابهين من أبنائه أرباب النبوغ الفكري، فتركهم يتجرعون مرارة البؤس الممزوج بالخضوع والانكسار والإهانة أحياء وأمواتا، وقد استطاع توظيف تفعيلات بحر (البسيط) فى التعبير عن هذا المعنى الاغترابي، حيث ازدات نبضات قلبه نتيجة لحالة الانفعال الوجداني المسيطرة عليه، فاستخدم زحاف الخبن بأن "حذف

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د/عبد الله الطيب، ٥٣٠/١، ط دار الفكر –بيروت– الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب،ص ١٦٤.

الثاني الساكن"[١] من التفعيلة الثانية فى الشطر الأول من البيت وعروضه وبذلك تصير التفعيلة من كونها (فَأْعِلُنْ) المكونة من (/٠//٠) إلى (فَعِلُنْ) المكونة من (///٠)، ثم أجرى زحاف الخبن تارة أخرى على التفعيلة الأولى من الشطر الثاني فصارت من كونها (مُسْتَفْعِلُنْ) المكونة من (/٠//٠/٠) إلى (مُتَفْعِلُنْ) المكونة من (//٠//٠)، فأضفى ذلك على التفعيلات العروضية للبحر سرعة نشأت من توالي الحركات تباعًا فى سرعة، فبدت وكأنها محاكية لتتابع دقات قلب الشاعر حالة انفعاله واضطرابه الوجداني حزنًا على وطنه الذى تبدلت المشاعر النفسية تجاهه من الألفة إلى الوحشة والنفور الممزوج بالأسى والحزن، ولم يكن هذا فحسب فلقد أدخل الشاعر علة القطع وهى "حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله"[٢] في ضرب البيت فصارت التفعيلة من كونها (فَأْعِلُنْ) المكونة من (/٠//٠) إلى (فَأْعِلْ) بسكون اللام والمكونة من (/٠/٠) فنقلت إلى (فَعْلُنْ) بسكون العين، فأضفت تفعيلة الضرب وما لحقها من حذف وسكون نوعًا من البطء الحركي بعدما توالت حركات تفعيلات البحر فى سرعة فائقة، وهذا من شأنه أن يجسد هدوء اليأس وصمت العجز وسكون الذل التالي للانفعال النفسي الذي لحق بوجدان الشاعر حالة صرخته الاغترابية، تقريرًا منه بأن النتيجة الحتمية لانفعاله الوجداني وما تبعه من تزايد فى دقاته القلبية، سيكون الخضوع والاستسلام الذي يحيله إلى حالة من اليأس المعبرة عن قمة شعوره النفسي بالاغتراب المكاني!

ثانيا:احتلال مجزوء الرمل المرتبة الأولى بين مجزوءات البحور بعدد(٩) شواهد شعرية بنسبة (٩%) فاتفق هذا مع الحالة النفسية للشاعر وما ينتابه من انفعالات اغترابية تقتضي أن يعبر عما يعانيه دون تصنع، وذلك لما فيه من جرسٍ موسيقي ترنمي ينساب "من غير ما تكلف"[٣] في نظمه، ومن النماذج الشعرية المعبرة عنه في هذا المقام قوله:

طُوْلُ لَيْلِيْ بَيْنَ كِنِّيْ بَيْنَ تَسْهِيْدِيْ وَوَهْنِيْ[٤]

/٠/٠//٠ /٠/٠//٠ /٠/٠//٠ ٠/٠//٠

فَـأْعِلَاْتُنْ فَأْعِلَاْتُنْ فَـأْعِلَاْتُنْ فَأْعِلَاْتُنْ

وقد برع الشاعر في توظيفه للتفعيلات العروضية لمجزوء الرمل حالة تعبيره عن شعوره المرير بالاغتراب الزماني، فأتت تلك التفعيلات صحيحة دون أن يطرأ عليها زحافات وعلل فظل السكون

---

(١) علم العروض والقافية، د/عبد العزيز عتيق، ص١٣٨، ط دار الآفاق العربية–القاهرة– الطبعة الأولى عام ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

(٢) السابق نفسه، ص١٤٧.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب،١/١٥١.

(٤) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١٥٠.

فيها يبوح للمتلقي ببطء ليل الشاعر وطوله ورتابته وسكونه في هدوء موحش وما ينتابه فيه من يأس حالة سهاده فيه وحيدًا عاجزًا دون أنيس أو معين يُذهب عنه مرارة الشعور بالوحدة والانعزال والانطواء.

ونتيجة للتفسير النفسي لتلك التفعيلات العروضية يتبين: أنه ليس من المنصف تقييد البحر مجردًا بالدلالة النفسية للشاعر، لأنه من الممكن أن تأتي مشاعر البهجة ومشاعر الحزن على وزن واحد، ولكن ما يعبر عن هذه وتلك تباين الإيقاع الداخلي للتفعيلات العروضية فـ"الوزن المجرد نفسه لا يحمل أي دلالة خاصة، وإنما تحدد دلالته فيما بعد عناصر موسيقية أخرى ترتبط بنوع الإيقاع ودرجته"(١)، المتروكة لبراعة الشاعر وما تقتضيه حالته الوجدانية، وما أكد ذلك أن بحر البسيط قد احتل المرتبة الأولى في التعبير عن انفعالات الشاعر الاغترابية مع ما يتسم به من امتداد في تفعيلاته، فى حين أن مجزوء الرمل قد احتل المرتبة الأولى بين مجزوءات البحور فى تعبيره على تلك المشاعر الاغترابية نفسها رغم قصر تفعيلاته، مما يؤكد أن براعة الشاعر ومهارته الفنية هى التى تلعب دورًا واضحًا في تلوين وتنويع التفعيلات العروضية داخل أي بحر شعري بما يعتريه وجدانيًا من نفثات شعورية ونبضات قلبية تتجسد فى صورة نبرات إيقاعية تعبر عن نزعاته النفسية، ومما يرجح ذلك ما ورد من صور غريبة نادرة لبعض بحور الشعر فى تلك المدونة الاغترابية الديبية، نحو صورة بحر السريع التى جعل العروض فيها على (فاعلانْ) المكون من (/٠//٠٠) والضرب على (فاعلنْ) المكون من (/٠//٠) وهذا عَكْس الصورة المعتادة للسريع عند العروضيين؛ حيث العروض (فاعلن)، والضرب (فاعلان) كقوله:

يَمُرُّ عَامِيَ فِي طِلَابِ الكَفَــافْ وَفِي جَدِيْدِ العِيْدِ لِبْسٌ خَلِقْ

أَقْسَمْتُ أَنَّ (الديبَ) حِلْمٌ وَطَافْ وَأَنَّهُ بَيْــنَ الوَرَى مَا خُلِقْ(٢)

إذ أخذت عبقرية (الديب) الشعرية تنحت من بحر (السريع) إيقاعًا موسيقيًا يتوافق مع اضطراب نفثاتها وتباين وجدانها فبدت وكأنها تثور على الموروث العروضي المعتاد محاكية تمردها على واقع الشاعر الاغترابي، وهذا من شأنه أن يبرهن عن الانفعال الوجداني الذي يعتريه، نتيجة ما يشعر به من اغتراب زماني.

ثالثا: قلة نسبة مجزوءات البحور الواردة فى النتاج الشعري المعبر عن النزعة الاغترابية عند (عبد الحميد الديب) إذا قورنت بالبحور الطوال أو ذات الأوزان الكثيرة المقاطع فهى تعادل (١٢%) في مقابل (٨٨%) للأوزان كثيرة المقاطع، لا سيما أن هذا يتفق مع ما أقره بعض نقاد العرب من "أن

(١) التفسير النفسي للأدب، ص٥٢.

(٢) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٥٣.

القدماء يميلون إلى الأوزان الكثيرة المقاطع ويؤثرونها على المجزوءات..."[١]، وهذا يبرهن على أن النتاج الشعري المعبر عن النزعة الاغترابية عند الشاعر قد اتفق مع ما يميل إليه الذوق العربي القديم من تفضيل النغم الموسيقي الممتد وتفضيل بحوره على موسيقى البحور القصيرة المجزوءة، وبالتفسير النفسي لذلك يتبين أنه أراد محاكاة الفحول من شعراء العربية القدامى في ذلك، رغبة منه في التأكيد على شعوره النفسي بالاغتراب النابع من محاولاته المضنية في اعتداده بذاته، رغبة منه في الخلاص مما يعانيه من نبذ وازدراء اجتماعي جراء ما يؤرقه من تجاهل المجتمع لموهبته الشعرية.

(ب) القافية:

وهى"شريكة الوزن فى الاختصاص الشعري ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية"[٢]وفي تكرار جرسها الموسيقي في فترات زمانية منتظمة، وتباين رويها من حيث الهمس والجهر، إثارة لمشاعر المتلقي بما أراد الشاعر البوح به والتأكيد عليه، وهذه إحصائية توضح نسبة تواتر أحرف الروي في الشواهد الشعرية المترجمة عن المشاعر الاغترابية فى وجدان (عبد الحميد الديب)، وتأتي كالتالي:

م	الصوت	الصفة	عدد الشواهد الشعرية	النسبة المئوية
١	النون	مجهور	١٠	%١٠
٢	الباء والقاف	مجهور	٩	%٩
٣	الراء، العين، الدال	مجهور	٨	%٨
٤	اللام، الميم	مجهور	٧	%٧
٤ مكرر	الهمزة	لا مجهور ولا مهموس	٧	%٧
٥	الجيم، الهاء	مجهور	٤	%٤
٥ مكرر	الحاء	مهموس	٤	%٤
٦	الفاء، السين	مهموس	٣	%٣
٧	الكاف	مهموس	٢	%٢
٨	الضاد، الياء	مجهور	٢	%٢
المجموع الكلي		٩٧		%١٠٠

(١) موسيقى الشعر، ص١٨٠.

(٢) العمدة، ابن رشيق، ت/محمد محي الدين عبد الحميد،١٥١/١، ط دار الجيل –سورية– الطبعة الخامسة عام ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

ومن هذا الإحصاء يتبين:

١- احتلال قافية (النون) المرتبة الأولى فى النتاج الشعري المعبر عن المشاعر الاغترابية عند (عبد الحميد الديب) بعدد (١٠) شواهد شعرية بنسبة (١٠%)، احتلال قافية (الكاف، الضاد، الياء) المرتبة الأخيرة وذلك بعدد (٢) شاهدين شعريين اثنتين بنسبة (٢%).

٢- احتلال القافية المجهورة المرتبة الأولى فى هذا المقام بعدد (٧٤) ونسبتها باستثناء عدد ورود (الهمزة) التى لا توصف بالجهر ولا بالهمس كانت (٨٢%)، احتلال القافية المهموسة المرتبة الأخيرة مقارنة بسابقتها بعدد (١٦) وكانت نسبتها تعادل (١٧%).

٣- احتلال القافية المطلقة المرتبة الأولى بعدد (٨٤) شواهد شعرية ونسبتها المئوية (٨٦%)، واحتلال القافية المقيدة المرتبة الأخيرة مقارنة بسابقتها بعدد (١٣) شواهد شعرية ونسبتها المئوية (١٣%).

وبالتحليل النفسي لتلك النتائج يتبين: أن حروف الروي المطلقة والمجهورة قد احتلت المرتبة الأولى مقارنة بحروف الروي المهموسة والمقيدة، وهذا من شأنه أن ينسجم نفسيًّا مع ما يعانيه الشاعر من ضجر وجداني يصل إلى حد الصراخ المترجم لجل معاني الحزن واليأس والحسرة، وفي هذا دلالة على نجاحه في رسم جل ما يعانيه من مشاعر اغترابية أراد البوح بها والخلاص منها، وذلك من خلال الصراخ المتجسد في حروف الروي المجهورة وما تحدثه من ضجيج، والقافية المطلقة وما ينتابها من امتداد صوتي يحاكي آهات الألم وصراخ العويل، وليس معنى ذلك أن روي الهمس والقافية المقيدة مع قلتهما مقارنة بسابقيهما، لم يكن لهما قيمة نفسية فى تلك المدونة الاغترابية، بل كان فيهما ترجمة وجدانية لجل معاني الانكسار واليأس المحاكي لما فى حروف الروي المهموسة والقافية المقيدة من هدوء وصمت يجسد جل معاني العجز والانطواء والاستسلام والخضوع.

ثانيا: الموسيقى الداخلية: وتبدو هذه الموسيقى فى محاور عدة كالتالي:

(أ) التصريع:

إن غاية التصريع لم تكن فحسب فيما يحدثه من إيقاع موسيقي يجذب الأذهان ويمتع الأذواق، بل كانت فيما يود أن يُقِرَّه الشاعر من مضمون نفسي وجوهر وجداني أراد البوح به للمتلقي في تأنق موسيقي يبرهن على منزلة تلك النفثات الشعورية، ومما يؤكد ذلك أن المشاعر الاغترابية الملقية بظلالها على وجدان (عبد الحميد الديب) وما تحدثه لديه من اضطراب وجداني تتصاعد من خلاله آهاته وزفراته، وترتفع من أجله دقات قلبه، جعلته يتخذ من موسيقى الجرس اللغوي للتصريع سبيلًا يبوح من خلاله بتلك النفثات الاغترابية ومما يؤكد ذلك قوله:

{من الرمل}

أنا فى الليل على ســـــهدي شريد والأسى يعرف من عبـــــــد الحميـــــــدْ[1]

استطاع الشاعر توظيف الإيقاع الصوتي لموسيقى التصريع في الكشف عن حالته النفسية ومشاعره الاغترابية، حيث استخدم علة الحذف فأسقط السبب الخفيف من آخر التفعيلة في عروض البيت لتصير من كونها (فَأْعِلَاْتُنْ) المكونة من (/o/o//o) إلى (فَأْعِلَاْ) المكونة من (/o//o)وتنقل إلى (فَأْعِلُنْ) المكونة من (/o//o) ولكنها لحقت بالتصريع الضرب الذى دخلته علة القصر وهو "حذف ساكن السبب الخفيف وإسكان ما قبله"[2] لتصير (فَأْعِلَاْتْ) المكونة من (/o//oo) وتنقل إلى (فَأْعِلَاْنْ) المكونة من (/o//oo)، وهذا من شأنه أن يضفي على موسيقى العروض والضرب حالة من الهدوء والصمت المحاكيين لتهادي خطى (الديب) في سكينة وعجز واستسلام وانكسار وخضوع حال كونه شريدًا في ظلمة الدروب الخالية، دون مأوى يأوي إليه، أو صديق يدفع عنه غائلة الشقاء والبؤس والأسى، وبالأحرى فقد كانت موسيقى التصريع تجسيدًا صادقًا لمشاعر الاغتراب النفسي والزماني النابعة مما يعانيه فى دجى الليل من تشرد ومعاناة مزجت بالحزن والشجن والشقاء.

إن سيمفونية التصريع لم تكن فحسب تجسيدًا موسيقيًا أو انعكاسًا وجدانيًا لمشاعر الاغتراب النفسي المقرون بالاغتراب الزماني، بل كانت تقريرًا لما يعانيه من مرارة إحساس وجداني بالاغتراب المكاني، ومما يؤكد ذلك قوله : **{من الكامل}**

هل فى رحابك يا ديار أضـــــــــام؟ لا أنت راحمـــــــــــــة ولا الأيـــامُ[3]

دق التصريع أجراس موسيقاه العروضية بين عروض البيت وضربه، رغبة من الشاعر في الإفصاح عما يعانيه من مشاعر اغترابية، حيث أتى عروض البيت صحيحًا على (مُتَفَاْعِلُنْ) المكونة من (////o//o) ولكنه لحق بالتصريع الضرب الذى دخلته علة القطع فحذف ساكن الوتد المجموع وسكن ما قبله فصارت (مُتَفَاْعِلْ) المكونة من (////o/o) ونقلت إلى (فَعِلَاْتُنْ) المكونة من (///o/o) وفى هذا الجرس الموسيقى دلالة على مشاعر الفزع والجزع والوحشة التى اعترته تجاه ديار الأهل نتيجة لدروس عرصاتها ونحول أطلالها وفناء أهلها مما جعله يتساءل فى حنين وشجن عما حلّ بوجدانه حالة كونه بها من شعور مرير بالضيم والبؤس بعد ما كان يشعر فيها بالهدوء والسكينة، ونتيجة لذلك راح يصرخ صرخته الاغترابية معلنا النفور منها ومن الزمان ناعتا إياهما بالجحود والقسوة فى شعور اغترابي ملؤُه الحزن والأسى والوحشة.

---

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٨٩.

(٢) علم العروض والقافية، ص١٤٨.

(٣) ديوان عبد الحميد الديب، ص ١١٨.

(ب) الترصيع:

إن الدقات القلبية المترجمة عن الانفعالات الوجدانية لـ(عبد الحميد الديب) قد تتزايد فتتعدى موسيقى العروض والضرب وسيمفونية التصريع، إلى الجرس الموسيقى للترصيع، رغبة منه فى زيادة التأكيد على التقرير الجوهرى لمضمون الوجدان، من خلال جذب ذهن المتلقي بإيقاع الترصيع المتدفق الذي يطرب الآذان ويأسر الألباب والعقول، ويبرهن للمتلقي على قدرة الشاعر في جلب الجمال الشعري من غير تكلف، لأنه يكثر فى مقام الانفعال الوجداني، ومما يؤكد ذلك قوله: **{من مجزوء الرمل}**

بيته هذا العـــراء ثـــوبه بال هبـــاءْ

بين صيف وشتاء لم يُصِب إلا الشقاءْ[١]

قد شملت موسيقى الترصيع أشطر البيتين اللذين أراد أن يرسم من خلالهما لوحة فنية تبدو في تقسيمات لغوية تصرخ بضجيجٍ موسيقي يعكس شدة وقع المشاعر الاغترابية على وجدانه، فالألفاظ (العراء–هباء–شتاء–الشقاء) في تناسقها السجعي وانسجامها الموسيقي وتلاؤمها اللفظي قد نُظم من خلالها لحن موسيقي يجذب ذهن المتلقي ويبوح بما يعانيه الشاعر من بؤس وشقاء قد تجسدا فى تشرده بلا مأوى صيفًا وشتاءً مرتديًا البالي من الثياب وقد أحدقت به الهموم والمحن والنوائب فبات في شقاء دائم، وفي هذا دلالة على تعمق الإحساس لديه بالاغتراب النفسي المقرون بالاغتراب الزماني.

إن صرخات (الديب) الاغترابية المتخذة من ضجيج الجرس الموسيقي المكثف للترصيع لم تقف عند البوح بما يعانيه من مرارة شعور بالاغتراب، بل تعدت إلى التعبير عما يعانيه من توجع ممزوج بالحسرة والألم والحزن، فقال: **{من مجزوء الرمل}**

صائم طول الحيـــاه زاده تقوى الإلـــــهْ

ما له فى الناس جاه صـــابر ما قال آهْ[٢]

فالتناغم السجعي لموسيقى الترصيع والتناسق اللفظي لأشطر البيتين من شأنه أن يضفي جرسًا لغويًا وضجيجًا صوتيًا يحاكي صراخ (الديب) توجعًا وألمًا، حيث ختم تلك الأشطر بحرف الهاء المسبوق بالألف في ثلاث أشطر فقال:(الحياه– جاه–آه) فدل ذلك على شدة بؤسه ووحدته وتجرعه لكأس الصبر والتجلد، وفي هذا تعبير صادق على ما يعانيه من شعور بالاغتراب النفسي والاجتماعي، ثم ختم شطرًا واحدًا بهاء لفظ الجلالة فقال: (الإله) وهذا من شأنه أن يعبر عن

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٥٤.

(٢) السابق نفسه، ص ٣٥٣.

صوفيته التى اتخذها سبيلًا للخلاص مما يعانيه من مرارة شعور بالاغتراب، إذ الانخراط في التجربة الدينية الصوفية أو نقيضتها الإباحية المتجسدة في المجاهرة بشرب الخمر، ويعد هذا محاولة للهروب مما يعانيه الإنسان من نزعات اغترابية شديد وقعها على وجدانه.

(جـ) التكرار:

إن تكرار الشاعر للفظة من الألفاظ من شأنه أن يترجم عما يجول فى وجدانه من أحاسيس أراد التأكيد عليها والبوح بها، وذلك بجانب ما يحدثه التكرار من جرس موسيقي يجذب الأذهان ويُمتع الإذواق، وقد ترجم التكرار عما يعانيه (الديب) من انفعالات اغترابية، فقال: **{من الرمل}**

كلما أقبـــــــل ليل أو نهار شـــــــاقني العهد وشاقتني الديارْ

وشجاني ســـــحره هذا المزار والليالي الخرد الغيـــــد النضارْ[1]

فلقد كرر الشاعر لفظ الشوق المسند تارة إلى إحدى مترادفات الزمان (العهد) والمسند تارة أخرى إلى إحدى مترادفات المكان (الديار)، فأضفى ذلك التكرار حالة من التناغم الموسيقي التى تنحدر أجراسها في تناسق ورتابة تجذب ذهن المتلقي للبوح والإفصاح بما يعانيه (الديب) من شعور مرير بالاغتراب الزماني النابع من نفوره من الزمان وحاضره الأليم والميل وجدانيًا إلى عهده القديم، حيث مراتع الصبا ودفء الأهل والأحباب، أضف إلى ذلك ما يعانيه من اغتراب مكاني نبع من شعوره بالوحشة تجاه ديار الأهل والأحباب التى تغيرت معالمها ودرست أطلالها ورحل عنها أهلها فجثم السأم فى بهوها وخيمت الوحشة على عتباتها، ومما يؤكد ذلك قوله: (شجاني... المزار والليالي) إذ فى ذلك تقرير بالحزن على ما مرَّ من زمان اكتنفته ليال جمعته بالأهل والأحباب وبالتفسير النفسي لتلك المشاعر يتبين مرارة ما يعانيه من شعور أليم بالوحدة والانطواء المعبرين عن غربته الاجتماعية. ومن الجدير بالذكر أن القيمة النفسية للجرس الموسيقي للتكرار لم تقتصر على بيان ما يعانيه (الديب) من مشاعر اغترابية، بل تعدت إلى البوح ببواعث تلك الأحاسيس المريرة، فقال:**{من الكامل}**

قد خلت بالأصحاب بعض هناءتي واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب

أنا لست أســـــتجديهمُ لكننـــــي منهـــــم أقر براءتي ومتابـي

إن فاتني عيد الحياة ويســـــــرها سأرى هناء العيد يوم حسابي[2]

فقد كرر الشاعر لفظ (اللؤم) مرتين ولم يكن هذا التكرار ترفًا لفظيًّا لجأ إليه ليزيد من حصيلته اللفظية، ولكنه تكرار ينطق جرسه اللفظي ببواعث شعورية وجدانية وعاطفية ترسم معنى كامنًا في

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٣٩٢.

(٢) السابق نفسه، ص ٣٥٨ وما بعدها.

نفس الشاعر وأعماقه الوجدانية يبدو واضحًا جليًّا في الدلالة على مشاعر الحزن التى تعتريه، نتيجة لما يتسم به الأصدقاء من لؤم وغدر قد تجلى في إفراغه لجل طاقاته اللغوية والشعرية المتخذة من الجرس الموسيقي للتكرار اللفظي سبيلًا للتعبير عن صرخته الاغترابية النابعة من شعوره المرير بالاغتراب الاجتماعي، ونتيجة لذلك تعمقت فى وجدانه مشاعر اليأس فأعلن انطواءَه وانعزاله عن أصدقائه، فقال: (منهم أقر براءتي ومتابي)، ثم أخذته مشاعر اليأس إلى أبعد من ذلك فأعلن عجزه وإخفاقه فى تحقيق آماله فى دنياه البائسة مبينًا أن نعيم الحياة إن فاته فى حياته سيراه يوم القيامة!

(د) الجناس:

لقد برع (الديب) في نظمه للقالب الفني للجناس، لأن ما يعانيه من شعور مرير بالاغتراب جعله يأتي به عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع، ونتيجة لذلك بدت القيمة الفنية للجناس في المدونة الشعرية تعبيرًا صادقًا عما يجول فى وجدانه من مشاعر اغترابية أراد البوح بها، فقال: **{من السريع}**

يمر عامي فى طلاب الكفـــاف وفى جـــــــــديد العيد لبس خَلَقْ
أقسمت أن (الديـب) حلم وطاف وأنه بيـــــــــن الورى ما خُلقْ[١]

جانس الشاعر بين لفظ (خَلق) الأول والدال على ارتدائه للبالي من الثياب يوم العيد، وبين لفظ (خُلق) الثاني الدال على حياة العدم والفناء التى يحياها في بؤس وشقاء، وتبدو القيمة الفنية للجناس في التعبير عما يعانيه من شعور مرير بكل من الاغتراب الزماني والاغتراب النفسي، نتيجة لتباين مشاعره وأرديته عن مشاعر الناس وأرديتهم فى يوم العيد، وذلك لما يعانيه من بؤس وشقاء وخضوع واستسلام وعجز غلف بالحزن والألم وساقه إلى اليأس فظن أنه ما خُلق!

إن فلسفة الشاعر فى تعبيره عن مشاعره الاغترابية وإفصاحه عنها من خلال القالب الفني للجناس لم تقتصر فحسب على البوح بما يعانيه من مشاعر اغترابية، بل بدت في تعبيره عن تلك البواعث التى دفعت به إلى رحلته الاغترابية، فقال: **{من مجزوء الرمل}**

أطرق الباب فألفى دونه أرصادَ ضغنِ
من تغال أو تـــعال أو تَأَنِ أو تَجَنِ[٢]

أراد (الديب) التعبير عما يعانيه من مشاعر اغترابية من خلال القالب الفني للجناس، فاتخذ من بواعث الاغتراب الاجتماعي سبيلًا لذلك فجانس بين لفظ (تغال) الدال على بغض المجتمع له وبين

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص ٤٥٣.

(٢) السابق نفسه، ص ١٤٩.

(تعال) الدال على احتقار الناس له، أضف إلى ذلك مجانسته بين قوله: (تأن) الدال على الأحزان المصيبة إياه وبين قوله: (تجن) الدال على التهم الواهية التى يلصقها المجتمع به، وتبدو القيمة الفنية للجناس فى التعبير عن شعوره بالاغتراب الاجتماعي النابع من نبذ وبغض المجتمع له.

ولم يكن هذا فحسب، فلقد جسد القالب الفني للجناس العديد من المشاعر الاغترابية، كالتعبير عن نرجسية (الديب) النابعة من إحساسه بالنبذ والإقصاء الاجتماعي، فراح يعتد بذاته رغبة فى الخلاص من مرارة هذا الإحساس الاغترابي، فقال: **{من البسيط}**

وما قَنَعْت بدونٍ إنه شـــــــــــرف بالموت دون حيـــــــــاتي بالرضا قَنَعا (١)

فلقد جانس بين (دون) الأولى الدالة على معنى الذل وبين (دون) الثانية الدالة على معنى (غَير) وفى هذا دلالة على شدة اعتداده بذاته، حيث فخره بعدم خضوعه لما يستدعي ذله واحتقاره، بل جعل العزة والرضا في حياته سبيلًا له، وهذا من شأنه أن يبرهن عما يعانيه من نبذ واحتقار اجتماعي جعله يمسك بتلابيب الرضا والقناعة نابذًا للذل معتزًا بذاته عله يجد الخلاص من مرارة ما يعانيه من شعور بالاغتراب.

(١) ديوان عبد الحميد الديب، ص٤٣٩.

الخاتمة وأهم النتائج

-كشفت الدراسة التحليلية النقدية للنتاج الشعري المعبر عن ظاهرة الاغتراب أن حياة البؤس والشقاء التى نشأ فيها وظل طوال حياته يقبع في وحشتها رغم ما اتسم به من موهبة شعرية، تُعد الباعث الحقيقي وراء شعوره بالاغتراب بشتى صوره النفسية والاجتماعية والمكانية والزمانية.

-أفصحت الدراسة التحليلية النقدية لتلك الظاهرة عن بعض المشاعر النفسية التى عانى منها الشاعر فبدت كالتالي:

*اليأس، والاكتئاب، والعجز، والخضوع والاستسلام، إذ أخذ يعلن رغبته الوجدانية فى الموت مناجيًا المولى- تبارك وتعالى- أن يُعجل بموته علَّه يجد الخلاص مما يعانيه من مرارة شعوره بالاغتراب.

*الانطواء النفسي والعزلة الوجدانية، حيث راح يفر من البيئة المحيطة به؛ لما ينتابه تجاهها من مشاعر بالوحشة معلنًا ميله إلى بيئة البادية وظواهرها الكونية في محاولة منه للعزلة والانطواء.

*الرّهاب الاجتماعي، إذ سيطرت على وجدانه مشاعر الخوف من الناس الذى تنامى نفسيًا إلى الكراهية والبغض لهم، فوصف المجتمع المحيط به بالعديد من الخلال الخبيثة، معلنًا نفوره منه وميله إلى مجتمع المجانين والمساجين!

-بينت الدراسة التحليلية للنتاج الشعري المعبر عن ظاهرة الاغتراب عند الشاعر أنه قد مرَّ بمرحلتين متناقضتين في حياته العقائدية، حيث الانخراط في التجربة الإباحية، فشرب الخمر، وشم (الكوكايين) في بداية رحلته الاغترابية ظنًا منه أن في ذلك الخلاص مما يعانيه من مشاعر اغترابية، ثم طغت على وجدانه نشأته الإسلامية وأثرت بيئته الريفية المُجسدة للفطرة الإنسانية النقية على أفعاله، فانخرط فى التجربة الصوفية التى فاح عبيرها في ثنايا نتاجه الاغترابي؛ إذ وجد فيها السبيل الحقيقي للخلاص مما يعانيه من اغتراب من خلال التوبة.

-أفصحت الدراسة التحليلية النقدية للاغتراب الاجتماعي الذى عانى منه الشاعر عن مظاهر هذا الشعور الاغترابي والتى بدت في إحساسه المرير بالتهميش والنبذ، وتهاوي القيم الإنسانية وفساد المجتمع وسطوة اللامعيارية، واتساع فجوة الانفصال بين الشاعر وأصدقائه وكذلك بينه وبين أسرته، أضف إلى ذلك ما عاناه من ثنائية الانخراط النفسي فى التجربتين اللاهية والصوفية.

-بدت اتجاهات الاغتراب النفسي في ضوء تلك الدراسة التحليلية النقدية للنتاج الشعري المعبر عن الاغتراب عند الشاعر، متجلية في اعتداده بذاته النابع من محاولاته المضنية في التغلب على الإحساس المرير بالنبذ الاجتماعي، ثم الشعور باليأس والخضوع والعجز وكذلك الإحساس المرير بالحزن والأسى.

–كشفت الدراسة التحليلية النقدية لظاهرة الاغتراب المكاني عند الشاعر عن محاور هذا الشعور والتى بدت في شعوره بالوحشه تجاه المكان، ومناجاته للطبيعة رغبة منه في بث ما يعانيه فيها من شعور بالاغتراب.

– بينت تلك الدراسة التحليلية النقدية لظاهرة الاغتراب عند الشاعر، أن الزمان لم يحضر فى مدونته الاغترابية باعتباره قوة فاعلة أفصح من خلالها أنه ضحية لمكرها، بل تعدى إلى تناول الزمان باعتباره وعاء تتجسد فى مترادفاته الزمنية ما يعانيه فيها من هموم وآلام جعلته يتعمق لديه الشعور بالاغتراب.

–أفصحت الدراسة التحليلية النقدية لبنية التركيب المعجمي للمدونة الاغترابية عند الشاعر، عن اتسام ألفاظها بالدقة والإيحاء، السهولة والألفة، الاقتباس، التضمين، كما بَيَّنت أنه قد اعتمد على الأسلوبين الإنشائي والخبري في التعبير عن نفثاته الاغترابيه، فاحتل الأسلوب الإنشائي المرتبة الأولى مقارنة بنظيره الخبري، حيث كثرة أساليب النداء والدعاء والتمني لما فيهما من مقدرة فنية تترجم عن النفثات الاغترابية التى تقتضي الصراخ والعويل، رغبة فى الخلاص مما يعانيه الشاعر من آلام وأشجان تبرهن على اغترابه.

– كشفت الدراسة التحليلية النقدية للصورة الاغترابية في المدونة الاغترابية لدى الشاعر بأنه قد اعتمد على الصورة المستمدة من الحواس، رغبة منه في نقل ما يعانيه من آلام وأحزان ومشاعر اغترابية مريرة للمتلقي، وفي هذا دلالة على أن الصورة المستمدة من الحواس كانت بمثابة أداة من أدوات الاستغاثة ومحورًا من محاور الرغبة في الخلاص من تلك النزعة الاغترابية.

– بينت الدراسة التحليلية النقدية للإيقاع الصوتي الداخلي للنتاج الشعري المعبر عن الاغتراب لدى الشاعر، أن الجرس الموسيقي النابع من التصريع، والترصيع، والتكرار، والجناس قد عبر عما يعانيه الناظم من شعور مرير بالاغتراب، إذ بدت تلك السيمفونيات الرائعة ملحمة شعرية تحاول استمالة وجدان المتلقي عله يرق لمأساة الشاعر وما يتجرعه في حياته من شقاء وبؤس.

–أفصحت الدراسة التحليلية النقدية للموسيقى الخارجية المتجسدة في الوزن والقافية للنتاج الشعري المعبر عن الاغتراب لدى الشاعر، عن احتلال بحر البسيط المرتبة الأولى، واحتلال القافية المجهورة ذات الروي المطلق المرتبة الأولى مقارنة بالقافية المقيدة والروي المهموس، وفي هذا دلالة على شدة الانفعال النفسي المسيطر على وجدان الشاعر حالة نظمه لتلك المشاعر الاغترابية.

– أكدت الدراسة التحليلية النقدية لموسيقى الوزن عند الشاعر فى مدونته الاغترابية، أن موسيقى البحر الشعري تشكلها العبقرية الشعرية المتضافرة مع المشاعر الوجدانية، إذ نظم صورة إيقاعية غريبة نادرة لبحر (السريع) على خلاف الصورة المتعارف عليها عند العروضيين.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر والمراجع:

الهمزة

- أدب الغرباء، لأبي الفرج الأصبهاني، ت د/صلاح الدين المنجد، ط دار الكتاب الجديد – بيروت– الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت/محمد عبد المنعم خفاجى، ط مكتبة الإيمان – المنصورة– (د.ت).
- أسس النقد الأدبي عند العرب، د/أحمد أحمد بدوي، ط نهضة مصر –القاهرة– الطبعة السادسة عام ٢٠٠٤م.
- الإشارات الإلهية، أبي حيان اليوحيدي، ت/ عبد الرحمن بدوي، ط مطبعة جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٠م.
- أصول النقد الأدبي، د/ أحمد الشايب، ط مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة عام ١٩٩٤م.

الألف

- الاتجاه الوجداني فى الشعر العربي بمنطقة الخليج (دراسة فى القصيدة الإماراتية): د/عادل نيل، ط دائرة الثقافة والإعلام –الشارقة– الطبعة الأولى عام ٢٠١٦م.
- الاغتراب: ريتشارد شاخت، ترجمة/محمد كامل حسين، ط المؤسسة العربية –بيروت– عام ١٩٨٠م.
- الاغتراب سيرة مصطلح، د/محمود رجب، ط دار المعارف الطبعة الثالثة عام ١٩٨٨م.
- الاغتراب فى الشعر العربي الرومانسي مقاربة موضوعاتية للخطابات الشعرية لإيليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي وأبي القاسم الشابي: د/محمد الهادي بوطارن، ط دار الكتاب الحديث –القاهرة– عام ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- الاغتراب فى الشعر العربي فى القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، د/أحمد علي الفلاحي، ط دار غيداء للطباعة والنشر والتوزيع–العراق– الطبعة الأولى عام ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.
–الاقتباس من القرآن الكريم فى الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، ط منشورات دار النمير للنشر والتوزيع–سوريا– الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.

الباء

- بغية الإيضاح، لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، ط مكتبة الآداب- القاهرة- الطبعة السابعة عشر عام ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، ت/مجموعة من المحققين، ط دار الهداية- الكويت- (د.ت).
- تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، ابن أبي الإصبع، ت.د/حفني محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -سورية- (د.ت).
- التفسير النفسي للأدب، د/عز الدين إسماعيل، ط مكتبة غريب-الفجالة- الطبعة الرابعة(د.ت).

الجيم

- جمهرة الأمثال،أبي هلال العسكري، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ط دار الجيل -بيروت- الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. **الدال**
-دراسات فى سيكولوجية الاغتراب، د/عبد اللطيف محمد خليف، ط دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة- عام ٢٠٠٣م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت/محمود محمد شاكر، ط مكتبة الخانجي-القاهرة- الطبعة الخامسة عام ٢٠٠٤م.
- ديوان عبد الحميد الديب،ت/محمد رضوان، ط مكتبة الآداب-القاهرة- الطبعة الثانية عام ٢٠١٣م.
- ديوان عمر بن كلثوم، جمع وشرح وتحقيق د/ إميل بديع يعقوب، ط دار الكتاب العربي-بيروت- الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م. **الشين**
- الشاعر البائس عبد الحميد الديب، عبد الرحمن عثمان، ط مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني - القاهرة- (د.ت).
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ط دار الكتاب العربي-بيروت-عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- شعراء الفكاهة المعاصرون، أ/رجب مصطفى، ط دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع - دسوق- مصر- الطبعة الثانية عام٢٠٠٩م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، ط دار الكتاب العربي-القاهرة- عام١٩٦٧م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت/أحمد محمد شاكر،٦٢٩/٢، ط دار الحديث-القاهرة- الطبعة عام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. **الصاد**

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، أحمد بن على القلقشندي، ط دار الكنب العلمية –بيروت– (د.ت).
- الصورة الشعرية فى النقد العربي الحديث، د/بشرى موسى صالح، ط المركز الثقافي العربي– بيروت– الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت/محمود محمد شاكر، ٥٧٦/٢، ط دار المدني– جدة–(د.ت).

الطاء

الظاء

- ظاهرة الزمن فى الشعر العربي القديم (بشار بن برد وأبو نواس نموذجًا): نضال الأميوني دكاش، ط المجلس الأعلى للثقافة–القاهرة– الطبعة الثانية عام ٢٠٠٩م.

العين

- عباقرة ومجانين، رجاء النقاش،ط مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع–القاهرة– الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- عبد الحميد الديب حياته وشعره، فتحي الرملي، ط دار التعاون الصحفي –مصر– عام ١٩٤٤م.
- علم العروض والقافية، د/عبد العزيز عتيق، ط دار الآفاق العربية–القاهرة– الطبعة الأولى عام ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- العمدة، ابن رشيق، ت/محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل –سورية– الطبعة الخامسة عام ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.
- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ت/عباس عبد الستار، مراجعة/ نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية –بيروت– الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ– ١٩٨٢م.

الكاف

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت.د/عبد الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

اللام

- لسان العرب: ابن منظور، ط دار صادر –بيروت– الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ - ١٩

الميم

- مأساة شاعر الحرافيش عبد الحميد الديب، محمد رضوان، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٧م.
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت.د/أحمد الحوفي، د/بدوي طبانه، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – الطبعة الثانية (د–ت).

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د/عبد الله الطيب، ط دار الفكر –بيروت– الطبعة الثانية عام ١٩٧٠م.
- مشاهير وظرفاء القرن العشرين، أ/هاني الخير، ط دار الكتاب العربي–بيروت– الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط دار العلم للملايين –بيروت– الطبعة الثانية عام ١٩٨٤م.
-معجم مصطلحات الأدب (انكليزي–فرنسي–عربي)، مجدي وهبه، ط مكتبة لبنان–بيروت– (د.ت).
- موسيقى الشعر، د/إبراهيم أنيس، ط مكتبة الأنجلو المصرية، عام ٢٠١٠م.

المجلات والدوريات العلمية:

- مجلة أدب ونقد، عبد الحميد الديب،اعترافات فيلسوف الصعاليك، أشرف سعد، العدد ٣٦٩.
- مجلة عالم الفكر، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا،د/قيس النوري، مج ١٠،العدد١عام١٩٧٩م.
- مجلة عالم الفكر ،الاغتراب فى الإسلام،د/فتح الله خليف، مج ١٠،العدد ١ عام١٩٧٩م.
- مجلة الموقف الأدبي، (الاغتراب فى أدب زكريا تامر، غسان السيد) اتحاد الكتاب العرب – سوريا– مج ٣٠، العدد ٣٥٢ (٣١ أغسطس /آب ٢٠٠٠).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية والإنجليزية	١٩٣
المقدمة	١٩٤
التمهيد	١٩٥
الفصل الأول: أنماط الاغتراب ومظاهره في شعر (عبد الحميد الديب)	٢٠٠
المبحث الأول: الاغتراب الاجتماعي	٢٠٠
المبحث الثاني: الاغتراب النفسي	٢٢٣
المبحث الثالث: الاغتراب المكاني	٢٣٣
المبحث الرابع: الاغتراب الزماني	٢٤٤
الفصل الثاني: إضاءات فنية عن الاغتراب في شعر (عبد الحميد الديب)	٢٥٢
المبحث الأول: البنية التركيبية	٢٥٢
المبحث الثاني: الصورة الشعرية	٢٦٣
المبحث الثالث: البناء الموسيقي	٢٧٢
الخاتمة	٢٨٣
فهرس المصادر والمراجع	٢٨٥
فهرس الموضوعات	٢٨٩